

الفصل الثالث

**الدراسة خارج الوطن وأوضاع الطلبة الوافدين
وما قد ينتج عنها من مشكلات**

الفصل الثالث

الدراسة خارج الوطن وأوضاع الطلبة الوافدين

وما قد ينتج عنها من مشكلات

يتناول هذا الفصل بالعرض والتحليل ظاهرة الدراسة خارج الوطن وذلك من خلال

النقاط التالية:

- مقدمة.

- أولاً: مزايا الدراسة خارج الوطن.

- ثانياً: عيوب الدراسة خارج الوطن.

- ثالثاً: أوضاع الطلبة الوافدين أثناء الدراسة بالخارج وتشمل:

١- التباين الاجتماعى الثقافى بين المجتمع الأسمى للطالب والمجتمع المضيف.

٢- الصدمة الثقافية. ٣- الحنين للوطن والشعور بالوحدة.

٤- اللغة. ٥- صعوبة التكيف الاجتماعى والثقافى والأكادىمى.

٦- الأوضاع الاقتصادية.

- رابعاً: الأزهر والطلبة الوافدون ويشمل:

أ- الملامح العامة لسياسة تعليم الوافدين بجامعة الأزهر.

ب- رعاية الأزهر للطلبة الوافدين قديماً وحديثاً من خلال:

١- نظام الأروقة. ٢- مدينة البعوث الإسلامية.

- خامساً: المشكلات التى يمكن أن تواجه الطلبة الوافدين أثناء دراستهم.

أولاً: المشكلات التعليمية.

ثانياً: المشكلات الاجتماعية.

ثالثاً: المشكلات الاقتصادية.

- خلاصة الفصل.

لا يعد السفر والترحال من أجل طلب العلم والتزود بالمعرفة وليد العصر الحديث، ولكنه يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، حيث كان الطلاب من جميع أنحاء العالم يقصدون الجامعات والمؤسسات التعليمية الكبرى التي كانت بمثابة مراكز إشعاع علمي " فالدراسة خارج الوطن Study Abroad وسفر العلماء والمتخصصين كانت ظاهرة منتشرة يرجع تاريخها إلى عام ٥٠٠ قبل الميلاد، عندما هاجر المفكرون وطلاب العلم إلى أثينا، ثم تتابعت الأسفار إلى مراكز العلم في جميع أنحاء العالم مثل الإسكندرية وروما وفارس والهند والأندلس، حيث كان يعتقد أن الدراسة بالخارج تعطى صاحبها نوعاً من التميز في معظم المجتمعات والثقافات"^(١).

ولما كان الدين الإسلامي هو دين العلم كما يتضح من أول آية نزلت وهي قوله تعالى ﴿أقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ (العلق - ١)، فقد حث الإسلام على طلب العلم أيما كان مكانه أو موضعه وذلك مصداقاً لقوله تعالى ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ (التوبة - ١٢٢)، وما رواه أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)^(٢) ولعل ذلك ما يفسر تزايد أعداد الوافدين بجامعة الأزهر.

وتفرض ظروف العصر الحديث في ظل ثورة الاتصالات والتقدم العلمي أن تحاول الأمم والشعوب والأفراد الوقوف على ما توصلت إليه الدول المختلفة في تلك المجالات حتى تستطيع السير في ركب التقدم والتطور الهائل الذي يشهده هذا العصر، ويعد إرسال الطلاب إلى تلك البلاد أحد أهم السبل لتحقيق ذلك الهدف، إضافة إلى أن عملية التبادل الطلابي Students Exchange بين الدول المختلفة تزيد من الروابط الثقافية بين تلك الدول، وعادة ما تمهد تلك العلاقات الثقافية الطريق إلى تنويع صور التعاون بين الدول في مجالات أخرى

(١) أنظر :

- عارف عطاري (١٩٩٩) الوعي العالمي لدى الطلاب الأجانب في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا واتجاهاتهم نحو بعض القضايا الدولية، مجلة مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، السنة الثانية، العدد الخامس عشر، ص ص ٢٢٩ - ٢٦٦.

- Gerald W. Fry (1984) The Economic And Political Impact Of Study Abroad, Comparative Education Review, Vol. 28, PP. 203 - 220.

(٢) يحيى ابن شرف النووي (١٩٩٧) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الحديث، ص ٤١٨.

كثيرة، 'العلاقات الثقافية قد تكون دافعا قويا لإنشاء علاقات دولية أخرى، وحتى إذا لم تسفر العلاقات الثقافية عن أنواع أخرى من العلاقات الدولية فهي وحدها قد تكون كافية لتبادل المنافع وتحقيق المصالح المشتركة في شتى أنواع العلاقات، كما أن العلاقات الثقافية لا تثير الشبهات ولا تحيط بها الشكوك مثل غيرها من العلاقات السياسية والاقتصادية'^(١) كما تجدر الإشارة إلى أن فكرة السفر للدراسة قد تتبع من اهتمامات وطموحات الفرد ذاته أو أسرته، ولعل هذا ما يفسر وجود نسبة كبيرة من الطلبة الوافدين بجامعة الأزهر غير مقيدين على منح ويدرسون على نفقتهم الخاصة.

وتتحدد الوجهة أو المؤسسة التعليمية التي يرغب الطالب، أو الجهة الموفدة له في الدراسة بها في ضوء العديد من الاعتبارات، من أهمها: الروابط الثقافية Cultural Ties، إذ يفضل طلاب البلاد التي كانت تتبع الإمبراطورية البريطانية British Empire السفر إليها، حيث كان هناك اعتقاد سائد بأن أفضل تعليم يمكن الحصول عليه من جامعتي أوكسفورد Oxford وكمبردج Cambridge، وفي الدول الإسلامية يفضل الطلاب السفر للدراسة بالجامعات الإسلامية الشهيرة مثل جامعة الأزهر بمصر ومثيلاتها بالعراق وسوريا، فتقريباً ما يزيد على نصف الطلاب الوافدين بالدول الإسلامية يدرسون في دول ذات روابط ثقافية مع بلادهم. وخير مثال على ذلك اليمن حيث أن (٨٥%) من الطلاب الوافدين اليمنيين يدرسون إما في السعودية أو مصر أو سوريا أو تركيا.^(٢)

أولاً: مزايا الدراسة خارج الوطن.

لا تقتصر مزايا الدراسة بالخارج على الطالب الوافد فقط، بل تتعداه إلى وطنه أيضاً وإلى المؤسسة الأجنبية التي يدرس بها.

أ- مزايا الدراسة للطالب ووطنه:

١. الإثراء الثقافي للطالب Cross- Cultural Enrichment

تتاح للطالب الوافد أثناء دراسته في البلد، المضيف فرصة الانفتاح على ثقافة هذا البلد، "مما قد يسهم في إيجاد مجتمع عالمي مسالم متعاون Peaceful Cooperative

^(١) عبد المجيد فراج (١٩٩٥) العلاقات الثقافية الدولية وكيفية دعمها، مجلة السياسة الدولية، عدد ١٢١، ص ١٣٤ - ١٣٧.

^(٢) William K. Cummings (1984) Going Overseas For Higher Education: The Asian Experience, Comparative Education Review. Vol. 28, No 2, PP. 241 - 257.

Global Community⁽¹⁾، حيث يؤدي التنوع الثقافي Cultural Diversity في المجتمعات الجامعية University Campuses إلى إيجاد منتديات اجتماعية متعددة الثقافات Multicultural Forums، مما يسهم في عملية تدويل التعليم العالي Internationalization Of Higher Education، والتي تهدف إلى تنمية الشعور بالاحتياج المتبادل بين الدول في شتى المجالات البيئية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية لدى الطلاب، ومن ثم إعداد هؤلاء الطلاب للعمل والتعايش في سياق دولي متعدد الثقافات⁽²⁾، وهذه ما يمكن أن يطلق عليه تنمية التعددية الثقافية Developing Multiculturalism، حيث يكون الطالب الذي درس بالخارج أكثر ألفة وأكثر من ثقافة عملياً وليس نظرياً.

٢- تنمية الكفاءة في لغة أجنبية Development Of Foreign Language Competencies

تعد الدراسة بالخارج وسيلة هامة وفعالة لاكتساب مهارات لغة أجنبية، ويعد إتقان لغة أجنبية من الأهمية بمكان - خصوصاً إذا كانت لغة عالمية - لأنه يتيح للطلاب التواصل مع المختصين في جميع المجالات، كما أنه يساعد الطالب في التعامل مع المواد العلمية المكتوبة بتلك اللغة، إضافة إلى ذلك فإن إتقان لغة أجنبية قد يفتح أمام الطالب أبواباً أوسع للنجاح في العمل فيما بعد سواء في القطاع العام أو الخاص⁽³⁾. "ويعد إتقان الطالب للغة التي يدرس بها من أهم العوامل التي يتوقف عليها تحصيله الأكاديمي Academic Achievement⁽⁴⁾" وتعلم الطلاب الوافدين للأزهر للغة العربية يحقق أهم أهداف بلادهم بدراسة الإسلام واللغة العربية وحمل مهمة نشرهما في بلادهم عند العودة إليها.

(1) Gerald W. Fry, Loc Cit.

(2) انظر:

- عارف عطاري، مرجع سابق.

- J. Knight And H. Dewitt (1995) Strategies For Internationalization Of Higher Education: Historical And Conceptual Perspectives, In H. Dewitt (Ed.) Strategies For Internationalization Of Higher Education: A Comparative Study Of Australia, Canada, Europe And The United States Of America, Amsterdam: EAIE, PP 5 - 7.
- S. E. Volet And G. Ang (1998) Culturally Mixed Groups On International Campuses: An Opportunity For Inter - Cultural Learning, Higher Education Research And Development, Vol. 17, No. 1, pp. 5 - 23.

(3) Gerald W. Fry, Loc Cit.

(4) Wim Jochems et al (1996) The Academic Progress Of Foreign Students: Study Achievement And Study Behavior, Higher Education, Vol. 31, No. 3, Pp. 325 - 340.

٣ - التنمية السياسية Political Development

يناح للطلبة الوافدين الانفتاح على الأنظمة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للبلد الذي يدرسون فيه مما قد يولد لديهم وعياً سياسياً معيناً، "فمثلاً تحول تيلاند من الحكم الملكي المطلق Absolute Monarchy إلى الحكم الدستوري Constitutional Manatee كان على يد مجموعة من الطلاب والضباط الذين أرسلوا لاستكمال دراستهم في فرنسا فتأثروا بالبيئة السياسية الفرنسية French Political Milieu، وأيضاً ثورة الطلاب في أكتوبر ١٩٧٣ التي تأثر فيها هؤلاء الطلاب بأعضاء هيئة تدريس ممن تعلموا بالخارج".^(١)

كما قد تمثل الدراسة بالخارج متنفساً للطلبة الذين يرغبون فيها من الناحية السياسية، فعندما تسوء الظروف السياسية في بلد ما يجد الطلبة في السفر للدراسة بالخارج وسيلة للابتعاد عن تلك الظروف، "تماماً كما حدث في الصين في نهاية السبعينات، وعلى أثر ذلك قامت حركة الطلاب الصينيين Chinese Students Movement (CSM) والذين كان معظمهم ممن ذهبوا للدراسة خارج الصين هروباً من تلك الظروف السياسية"^(٢) ولا يعنى ذلك أن الدول التي يسافر طلابها للدراسة بالخارج عادة ما يكون فيها قهر سياسي، ولكن يقصد بذلك أن الطالب يطلع على نظام سياسي جديد - قد يتشابه وقد يتباين - مع نظام بلده الأصلي مما يساعده على التعرف على الإيجابيات والسلبيات لذلك النظام السياسي.

٤ - تنمية المهارات التكنولوجية Development Of Technical Skills

ويتحقق ذلك بصورة أكبر عندما يتجه الطالب للدراسة في دولة متقدمة، وتعد الدراسة بالخارج وسيلة هامة لاكتساب المهارات التكنولوجية اللازمة لعملية التنمية، ولعل ذلك سبب اهتمام العديد من المؤسسات بإرسال الطلاب للدراسة بالخارج، مثل مؤسسة روك فيلر Rockefeller ومؤسسة فورد Ford وبرامج الأمم المتحدة للتنمية U.N. Development Programs، ففي بداية النهضة الاقتصادية في اليابان كان هناك تأكيد قوى على إرسال التقنيين Technicians والطلبة اليابانيين للخارج لاكتساب مهارات تكنولوجية جديدة في المجالات المختلفة اللازمة للتنمية المحلية^(٣) ولذلك تعد الدراسة بالخارج "أحد أهم السبل لزيادة

(1) Gerald W. Fry, Loc Cit.

(2) Dingxin Zhao (1996) Foreign Study As A Safety - Value: The Experience Of Chinese University Students Going Abroad In The Eighties, Higher Education, Vol. 31, No.2, Pp. 145 - 163.

(3) Endymion Wilkinson (1983) Japan Versus Europe: A History Of Misunderstanding, Harmonds Worth: Penguin, P.32.

عدد القوى البشرية المؤهلة لإحداث التنمية المحلية في مجتمع ما⁽¹⁾ ولعل ما ينتظر أن يقوم به الطلبة الوافدون للأزهر عند عودتهم لبلادهم من تنمية الوعي الديني ونشر تعاليم الإسلام سوف يسهم بطريقة أو بأخرى في عملية التنمية المحلية.

٥- ضمان الحصول على عمل متميز في المستقبل:

يعتقد معظم الطلبة في الدول النامية أن الدراسة خارج الوطن - خاصة بالدول الغربية - ستكون أحد أهم الوسائل التي تضمن الحصول على عمل جيد سواء داخل الوطن أو خارجه.⁽²⁾

ب- مزايا الدراسة بالخارج للبلد المضيف ومؤسساته التعليمية:

يوجد العديد من الفوائد التي تعود على المؤسسة التعليمية التي يدرس بها الطالب الوافد، ومن ثم فهي تعود على البلد المضيف Host Country منها ما يلي:

١- الأموال التي يوفرها قبول طلاب أجانب في مؤسسة تعليمية معينة تقلل احتياجات تلك المؤسسة من التمويل الحكومي.⁽³⁾ فمثلاً تايلاند تنفق (١٣٠) مليون دولار على ما يقرب من (٦٥٥٠) طالباً وطالبة يدرسون بالولايات المتحدة الأمريكية،⁽⁴⁾ أي أن هذا المبلغ يدخل الولايات المتحدة الأمريكية بسبب الطلبة الأجانب. فعندما يأتي الطالب الأجنبي على منحة من بلده أو مؤسسات الدعم الدولي International Assistance Agencies أو المؤسسات الخيرية Philanthropic Organization فإنه لا يوفر فقط على المؤسسة المضيفة مشكله دعمه مالياً، بل يزيد أيضاً من دخل تلك المؤسسة من خلال ما يدفعه من مصروفات دراسية⁽⁵⁾. وتجدر الإشارة بهذا الصدد إلى أن تلك الأعباء المالية قد تمثل مشكلة لبلد الطالب، إلا أنه يمكن أن يعود هؤلاء الطلبة بمهارات ومعارف تغطي تلك النفقات وزيادة، وبالتالي يعد الإنفاق عليهم نوعاً من الاستثمار بعيد المدى Long - Term Investment وذلك حيث

(1) Joyce Lewinger Moock (1984) Overseas Training And National Development Objectives In Sub - Saharan Africa, Comparative Education Review, Vol.28, No.2, pp.221 - 240.

(2) Nola Ourdie And John Hattie (1996) Cultural Differences: The Use Of Strategies For Self - Regulated Learning, American Educational Research Journal, Vol. 33, No. 4, pp. 845 - 871.

(3) See: - Robert Harris (1995) Loc Cit.

..... (1997) Op Cit,P.30.

(4) Gerald W. Fry, Loc Cit.

(5) Hans N. Weiler (1984) The Political Dilemmas Of Foreign Study, Comparative Education Review, Vol. 28, No. 2, PP. 168 - 179.

ترتكز سياسات الدراسة خارج الوطن على افتراض مؤداه أن الطلبة الوافدين وأقطارهم يمكن، بل يجب أن يستفيدوا من تلك الدراسة إذا تم تزويد المجموعة المختارة من الطلبة للدراسة خارج الوطن بخبرات تربوية جيدة⁽¹⁾.

٢- التقويم الذاتى والتطوير المستمر للمؤسسة التعليمية المضيفة.

يفرض وجود طلبة أجنبية فى مؤسسة تعليمية معينة ظروفًا وأوضاعًا خاصة يجب على تلك المؤسسة أن تتعامل معها، وتزداد الأوضاع حدة عندما يكثر عدد الطلبة الأجانب وتتباين خلفياتهم الثقافية والعقلية، فتلك الأوضاع التى تتطلب التعامل معها تجعل تلك المؤسسة التعليمية فى عملية متابعة مستمرة، مما يودى إلى رفع كفاءتها وكفاءة أعضاء هيئة التدريس بها، ولا شك أن ذلك يعود بالنفع عليها⁽²⁾.

٣- توفير فرصة للطلاب المحليين للاحتكاك بالثقافات الأخرى.

يوفر وجود طلبة أجنبية فى دولة معينة فرصة للطلاب المحليين Domestic Students وأعضاء هيئة التدريس والمواطنين العاديين للاحتكاك بالثقافات المختلفة للطلبة الأجانب، وهذا بدوره يسهم فى إيجاد مجتمع عالمى متفاهم ثقافياً، وذلك فى ضوء ما تشهد المجتمعات والثقافات من انفتاح واتصال فى ظل التقدم العلمى والتكنولوجى، "فالتربية فى هذا العصر تهدف إلى إعداد الأفراد لما يمكن أن يسمى بالمواطنة العالمية Global Citizenship"⁽³⁾.

ثانياً: عيوب الدراسة بالخارج.

كما أن للدراسة خارج الوطن العديد من الفوائد ذكر الباحث بعضها آنفاً، فإن لها أيضاً العديد من العيوب أو الآثار السلبية منها ما يلى:

١. مشكلة التهميش الثقافى Cultural Marginality

(1) Elinor Barber Et Al (1984) Perspectives On Foreign Students, Comparative Education Review, Vol. 28, No. 2, pp. 163 – 167.

(2) See:

- S. E. Volet (1997) Op Cit, P. 31.
- And J. P P. Kee (1995) Studying In Singapore – Studying In Australia: A Student Perspective, Murdoch University Teaching Excellence Committee, Occasional Paper No. 1, Murdoch University, Australia, P. 2.
- Hans N. Weiler, Loc Cit.

(3) S. E. Volet And G. Ang (1998) Loc Cit

قد يجد الطلاب الموفدون للدراسة بالخارج بعد عودتهم لأوطانهم صعوبة فى الانخراط فى ثقافتهم الأصلية، خاصة إذا كانت تختلف بشكل كبير عن ثقافة البلد الذى كانوا يدرسون فيه، ويحدث ما يسمى بالتصادم الثقافى Cultural Collisions ويحتاجون إلى عملية إعادة تكيف Readaptation مع ثقافتهم الأصلية وهى العملية التى يستطيع فيها الطالب أن يكون شكلاً متكاملًا من الثقافتين - ثقافته الأصلية والثقافة الوافدة - وهذا ما يطلق عليه التعددية الثقافية Multiculturalism، إلا أن عملية إعادة التكيف هذه غالباً ما تكون صعبة ومعقدة^(١) وكمثال لعملية التهميش الثقافى ما أشار إليه كومار A. Kumar على لسان أحد القرويين الهنود وهو ينصح حفيده بخصوص الدراسة بالخارج حيث يقول "إن من يذهبون إلى إنجلترا ينسون دينهم وثقافتهم، وعند عودتهم لا يجدون غضاضة فى أن يدخلوا بحضور آبائهم ومن هم أكبر منهم، بل يعرضون عليه سيجارة أحياناً، ويشعرون بالخجل من آبائهم الفلاحين الفقراء حتى أن أحدهم ليقدم أبيه لأصدقائه فى المدينة على أنه خادم"^(٢).

٢- زيادة الأعباء المالية على بلد الطالب.

ويقصد بذلك جميع الأموال التى تنفق على الطالب سواء كانت مصروفات دراسية أو نفقات شخصية، فإن ذلك يؤثر على العملة الصعبة فى البلد الذى ينتمى إليه الطالب خاصة وأن نفقات الدراسة بالخارج أصبحت باهظة، وخير مثال على ذلك تايلاند التى كانت تنفق فى الثمانينات حوالى (١٣٠) مليون دولار على الطلبة التايلانديين الذين يدرسون بالولايات المتحدة^(٣).

٣- استنزاف العقول Brain Drain

ويحدث ذلك عندما يفضل الطالب البقاء فى البلد الذى يدرس فيه على العودة إلى وطنه، وفى الثمانينات كان حوالى ثلث الطلبة الأجانب الذين يدرسون بالولايات المتحدة الأمريكية يفضلون البقاء هناك على العودة لبلادهم، ولعل السبب فى ذلك أن هؤلاء الطلاب عند عودتهم لا يجدون وظائف تلائم إعدادهم ومؤهلاتهم مما قد يصبهم بالبئروقراطية Bureaucracy وعدم الإبداع Nonproductively^(٤) هذا فى حين يرى آخرون أن ذلك يعد من الآثار الإيجابية للدراسة بالخارج لا من الآثار السلبية معطين ذلك بسببين: أولهما ما

(1)Gerald W. Fry, Loc Cit.

(2)Amar Kumar Singh (1963) Indian Students In Britain, New York, Asia Publishing.

Gerald W. Fry, Loc Cit. - نقلًا عن.

(3)Gerald W. Fry, Loc Cit.

(4)Ibid.

يوفره هذا الطالب من تحويلات أجنبية بالعملة الصعبة Hard Currency لأهله فى بلده الأصلي، وثانيهما ما يسمى بظاهرة تنمية العقول Brain Overflow، حيث أنه عندما يبرع أحد هؤلاء الطلاب ويحصل على تقدير عالمي فإن ذلك يعود بالنفع على بلده الأصلي، مثل ما حدث مع آرثر لويز Sir Arthur Lewis الذى حصل على جائزة نوبل Nobel Prize فى الاقتصاد ورفع شأن وطنه الأصل جاميكا Jamaica⁽¹⁾ وذلك مثل ما حدث مع المصرى أحمد زويل الذى حصل على جائزة نوبل فى الفيزياء ورفع اسم بلده الأصلي مصر.

٤- تقلص عدد الأماكن والفرص المتاحة للطلبة الأصليين Home Students غير الأجانب، حيث يشعر هؤلاء الطلاب أن الطلاب الأجانب يمثلون مصدر تهديد ومنافسة على الأماكن المتاحة بالجامعات، إضافة إلى الأعباء الأكاديمية التي يلقونها وجود طلبه أجانب فى مؤسسة تعليمية معينة، حيث يتطلب ذلك وقتاً وجهداً إضافيين للتعامل مع هؤلاء الطلبة⁽²⁾، ويظهر ذلك بصورة أوضح فى المؤسسات التي تعتبر التعليم رسالة سامية وليس وسيلة لجمع المال من خلال المصروفات التي يدفعها الطلبة الأجانب، وخير مثال على ذلك جامعة الأزهر، حيث يتم إعفاء الطلبة الذين يدرسون بالكليات الأصيلة والشعب المناظرة لها من المصروفات، بل يتعدى ذلك لمن يدرسون بالكليات المستحدثة إذا قام الطالب بتقديم التماس للجامعة، حيث يتم إعفاؤه من المصروفات.

ثالثاً: أوضاع الطلبة الوافدين أثناء الدراسة بالخارج:

يعيش الطالب الوافد فى مجتمع غير الذى تربى فيه، ويتعامل مع أفراد نوى خلفيات ثقافية Cultural Backgrounds متباينة عن بعضها البعض من ناحية، وتتباين عن ثقافته الأصلية من ناحية أخرى، إضافة إلى أنه يتعامل مع نظام تعليمي يختلف - كلياً أو جزئياً - عن ذلك النظام الذى كان يتعلم فى سياقه من قبل، كما أنه قد يستخدم لغة تختلف اختلافاً كلياً عن لغته الأم Mother Tongue، أو جزئياً كاللهجات المختلفة للغة واحدة، مما قد يفرض أوضاعاً وظروفاً كثيرة قد تؤثر على هذا الطالب - إيجاباً أو سلباً - فى النواحي التعليمية والاجتماعية والاقتصادية، وفيما يلي عرض لبعض تلك الأوضاع والظروف المفروضة على الطلبة الوافدين أثناء دراستهم خارج الوطن.

(1) Gerald W. Fry, Ibid.

(2) Elizabeth Jones And Cynthia Gallois (1994) Evaluations Of Interactions Between Students And Academic Staff, Journal Of Language And Social Psychology, Vol. 13, No. 2, pp. 158 - 192.

١ - التباين الثقافي والاجتماعي بين المجتمع الأصلي للطالب والمجتمع المضيف.

يعرف بريسلين R. Brislin الثقافة Culture على أنها "القيم Values والمفاهيم Concepts المشتركة بين مجموعة من الأفراد غالباً يتكلمون لغة واحدة، ويعيشون في منطقة واحدة، وتنتقل هذه القيم والمفاهيم عبر الأجيال Generations المتعاقبة، وتحدد سلوكيات الحياة اليومية للأفراد"^(١)، ومن ثم فالثقافة تتكون من "المثل Ideals والقيم والافتراضات Assumption المتعلقة بالحياة، والتي يشترك فيها الأفراد على نطاق واسع، وتتحكم في سلوكياتهم"^(٢) ويعرفها آخرون بأنها "مجموعة المكونات الموضوعية والذاتية Objective And Subjective Elements التي هي من صنع الإنسان Human Made وساعدته على البقاء، وأدت به إلى الرضا عن الممارسات البشرية، ويشترك فيها من يتواصلون مع بعضهم البعض لأنهم يستخدمون لغة واحدة ويعيشون في مكان وفترة زمنية واحدة"^(٣).

ويعرفها سايكو Siccone بأنها "مجموعة الأفكار والمعارف والمهارات التي تمكن مجموعة من الأفراد من الحياة في بيئة معينة، حيث توجد لديهم نفس الاحتياجات والمتطلبات البشرية Human Needs And Wants وإشباع هذه الحاجات في سياق بيئة تلك المجموعة هو الذي يكون هذه الثقافة"^(٤) ويعرفها آخرون بأنها "الإطار العام للمبادئ القيمية عند أفراد المجتمع"^(٥) أو هي "منظومة العقائد والمعايير والقيم والتصورات المشتركة والعادات والأخلاق، فهي كل مكتسب من المبادئ الثقافية (عقائد ومعايير وقيم)"^(٦) أو هي "المخطط الأساسي الذي يضعه المجتمع للسلوك الإنساني موضعاً ما يجب عمله وما يحسن عمله وما

(1) Richard Brisling (2000) Understanding Culture's Influence On Behavior, Second Edition, New York, Harcourt College Publishers, P. 4.

(2) Ibid, P. 5.

(3) H. Tirades et al (1993) Extracting The Emics Of Cultural Diversity, International Journal Of Intercultural Relations, Vol. 17, PP. 217 – 234.

(4) F. Siccone (1995) Celebrating Diversity: Building Self – Esteem In Today's Multicultural Classrooms, Needham Heights, M: Allyn And Bacon, P. 69. نقلًا عن Diane M. Hoffman (1996) Culture And Self In Multicultural Education On Discourse, Text, And Practice, American Education Research Journal, Vol. 33, No. 3, pp. 545 – 569.

(5) على وطفة (١٩٩٥) الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية ببירות، عدد ١٩٢، السنة السابعة عشرة، ص ص ٥٣ – ٦٦.

(٦) المرجع السابق.

يمكن عمله وما يجب ألا يعمل"^(١) ويعرفها الجمالي بأنها "محصلة التأثيرات التي تحدثها التربية (نظامية أو غير نظامية) في حياة الإنسان كفرد وكمجموعة"^(٢).

يتضح من التعريفات السابقة أن الثقافة من أهم المؤشرات على سلوكيات الأفراد الذين ينتمون إليها، ومن ثم فالطلبة الوافدون الذين ينتمون إلى ثقافات متعددة ومتباينة يوجد بينهم نوع من التنوع الثقافي Cultural Diversity، حيث أن لكل من هؤلاء الأفراد مجموعة من السلوكيات التي استقاها من السياق الثقافي الذي كان يعيش فيه منذ طفولته، وهذا ما يعبر عنه بعملية التنشئة الاجتماعية في السياق الثقافي Socialization Into Cultural Context^(٣).

وتجدر الإشارة إلى أن ذلك التنوع والتباين الثقافي بين الأفراد يكون فيما يسمى بخصوصيات الثقافة Cultural – Specific Concepts والتي يقصد بها المفاهيم التي توجد في بعض المجتمعات والثقافات دون غيرها، وتمثل الحالات الفريدة التي يلبي فيها مجتمع معين الحاجات التي يواجهها عبر التاريخ، أما عموميات الثقافة Cultural – Common Concepts فهي موجودة في جميع الثقافات ولدى كل الشعوب، وتمثل المتطلبات التي يواجهها الإنسان من أجل البقاء^(٤).

ويتطلب هذا التنوع في الخلفيات الثقافية لدى الطلبة الوافدين العمل على زيادة تفاهم الثقافي بين هؤلاء الطلبة، حيث تلعب الفروق الثقافية Cultural Differences في المعارف والقيم والمعايير دوراً هاماً في ترجمة السلوكيات اليومية للأفراد، مما يتطلب تيسر عملية التواصل بين هؤلاء الطلبة الذين تتحدد وجهات نظرهم تجاه ما يمكن قبوله اجتماعياً من تلك السلوكيات من خلال تلك القيم والمعارف والمعايير^(٥) كما يمكن أن تؤدي الفروق الثقافية في عملية الدراسة إلى فروق في توقعات كل من الطلبة الوافدين وأعضاء هيئة التدريس تجاه ما

(١) على وطفة، المرجع السابق.

(٢) محمد فاضل الجمالي (١٩٩٣) خبرات وآراء في الدراسة الجامعية، القاهرة، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية بالتعاون مع دار سعاد الصباح، ص ١٣٧.

(٣) Richard Brislin, Op cit. PP. 115 – 116.

(٤) Ibid, P. 83.

(٥) S. E. Volet And A. Tan Quigley (1999) Interactions Of Southeast Asian Students, And Administrative Staff At University In Australia: The Significance Of Reciprocal Understanding, Journal Of Higher Education Policy And Management, Vol. 21, No. 1, pp. 95 – 115.

هو مطلوب من كل منهما لأن الخلفية الثقافية لكل منها هي المسئولة عن صياغة وتكوين توقعاته واتجاهاته⁽¹⁾.

وبسبب ذلك التنوع الثقافى فإنه من الخطأ أن يعامل الطلبة الأجانب ذوى الخلفيات الثقافية المتعددة كمجموعة متجانسة Homogeneous Group والتي دائماً ما توصف بأنها مجموعة الطلبة الذين يفتقرون إلى المهارات العقلية اللازمة لإقناع الآخرين، والتفكير الناقد، والمشاركة فى المناقشات داخل حجرات الدراسة فى حين أنهم لم يكونوا كذلك قبل حضورهم للدراسة فى البلد المضيف وتجدر الإشارة إلى ضرورة مراعاة الفروق الثقافية بين الطلاب عند تحديد المتطلبات الأكاديمية Academic Requirement اللازمة للدراسة فى بلد أجنبى⁽²⁾ وفى ظل ذلك التنوع الثقافى توجد ضرورة ملحة للتواصل الآخرين "حيث يعد التواصل شفهيًا Oral Communication أو تحريريًا Written من الضروريات اللازمة للطلبة الأجانب ليس فى العملية فقط ولكن فى التواصل مع المجتمع الذى يعيشون فيه أيضاً، وتعد الثقافة من المكونات الأساسية فى عملية التواصل مع الآخرين - طلاباً كانوا أعضاء هيئة تدريس أم أفراد عاديين - فى المجتمع، مما يتطلب توافر كفايات عبر ثقافية - Inter Cultural Competencies أو متعددة الثقافات Multicultural لدى كل من الطلبة الأجانب ومن يتواصلون معهم⁽³⁾.

ويمكن التعرف على تأثير الثقافة على عملية تعلم الطلاب الأجانب من خلال ثلاثة محاور:

المحور الأول: ويتصل بأثر الثقافة فى الجانب الأكاديمى: Academic Cultures

وهو ما يمكن أن يطلق عليه الثقافات الأكاديمية، والتي تشير إلى المعايير Norms والاعتقادات Beliefs والتوقعات Expectations والممارسات Practices الثقافية الموجودة بالفعل لدى الفرد عن كيفية السير فى الأنشطة الأكاديمية Academic Activities⁽⁴⁾، فهناك ثقافات تشجع المناقشة والحوار Debate تفضل المداخل الامبريقية Empirical Approaches فى البحث، مثل الثقافة السكسونية (الإنجليزية) Saxonic Culture، بينما توجد ثقافات أخرى تعتمد على العلاقة القائمة على نظام الأستاذ التابع

(1) S. E. Volet and A. Tan – Quigley, OP Cit

(2) S. E. Volet and J. p. Kee, Op Cit, P. 3.

(3) Martin Cortazzi and Lixian Jin (1997) Communication for Learning Across Cultures, in David McNamara and Robert Harris (Eds) Overseas Students in Higher Education: Issues in Teaching and Learning, London, Routledge, P. 76.

(4) Ibid, p. 77.

Master –Disciple Relationship، وتفضل المداخل الاستدلالية والاستنتاجية Deductive Approaches، التي تشجع الطلاب على استخدام أساليب منطقية في عملية البحث مثل الثقافات التيتونية (الألمانية) Teutonic Culture، في حين أن هناك ثقافات أخرى تستخدم المداخلة الاستدلالية Non Deductive– Approaches، وتشجع استخدام أساليب بلاغية مقنعة Eloquence Persuasive مثل الثقافة الجالية (الفرنسية) Gallic Culture، وثقافات أخرى تعتمد في أساسها على نمط العلاقات الهرمية Relationships Hierarchical، وتعتمد المناقشة فيها على الأساليب الجدلية Dialectical، وتهتم بالنواحي الاجتماعية Social أكثر من النواحي العقلانية Intellectual مثل الثقافة النيبونية (اليابانية) Nipponic Culture⁽¹⁾، ومن ثم يمكن القول أن الأنظمة المختلفة تمتلك ثقافات ذات تأثيرات متباينة حيث، توجد علاقة بين المعرفة والمجتمع الذي توجد فيه⁽²⁾، وفي مقارنة بين الثقافة الأكاديمية البريطانية ومثيلاتها الصينية تبين وجود فروق يوضحها جدول المقارنة التالي⁽³⁾

جدول رقم (1)

يوضح المقارنة بين الثقافة الأكاديمية البريطانية والثقافة الأكاديمية الصينية

الثقافة الأكاديمية الصينية	الثقافة الأكاديمية البريطانية
تؤكد على الشعور الجماعي Collective Consciousness	تؤكد على التوجه الفردي Individual Orientation
تتبنى نمط العلاقات الهرمية Hierarchical Relation	تتبنى نمط العلاقات الأفقية Horizontal Relations
تؤكد على المشاركة السلبية Passive Participation	تؤكد على المشاركة الإيجابية Active Involving
تؤكد على تبعية السلطة Dependence On Authority	تؤكد على استقلالية العقل Independence Of Mind
تشجع على التبعية Mastery والموافقة Harmony	تشجع الإبداع Creativity والمناقشة Discussion والحوار Argument والتحدى Challenge .
تبحث عن حلول فردية Single Solution	تبحث عن بدائل Seeking Alternatives
تدعم المسايرة والموافقة Assumed Acceptant	تشجع التقييم الناقد Critical Evaluation

(1) J. Galtung (1981) Structure, Culture And Intellectual Style: An Essay Comparing Saxonic, Teutonic, Gallic and Nipponic Approaches, Social Science Information, Vol. 20, No. 6, pp. 817 – 856.

(2) Martin Cortazzi and Lixian Jin, Op Cit, p. 78.

(3) Ibid.

وقد ينتج عن ذلك الاختلاف بين تلك الثقافات الأكاديمية ما يسمى بالفجوات الثقافية Cultural Gaps بين توقعات الطالب الموجودة لديه بالفعل عن الثقافة الأكاديمية للبلد الذي يدرس فيه وبين ما هو موجود بالفعل في تلك الثقافة، وذلك تقريباً ما يحدث مع الطلبة الأجانب في مؤسسات التعليم المختلفة ويجعلهم لا يتقبلون العديد من الممارسات الأكاديمية في تلك المؤسسات.

المحور الثاني: ويتصل بأثر الثقافة في جانب التواصل Cultures Of Communication

ويمكن أن يسمى ثقافات التواصل، ويشير إلى الطرق المتوقعة للتواصل مع الآخرين وفهم وتفسير كلامهم، فالطلبة ذوي الخلفيات الثقافية المتباينة غالباً ما يستخدمون أساليب تواصل Communication Styles مختلفة باللغة الإنجليزية، حتى وإن كانت مستوياتهم اللغوية مرتفعة، فالطرق الثقافية Cultural Ways في التحدث والكتابة سوف تنتقل من اللغات الأخرى إلى اللغة الأجنبية، خاصة تلك الطرق المستعملة بالسليقة، ففي حين تعد القواعد Grammar والمفردات اللغوية Vocabulary من الأشياء الهامة في عملية التواصل، فإن هناك أشياء أخرى هامة توجد أساساً في جميع اللغات مثل استخدام نغمات الصوت Intonation، والتوقف المؤقت أثناء الكلام Pauses، والاتصال البصري Eye Contact، ولغة الجسم Body Language، والتراكيب البلاغية Rhetorical Patterns⁽¹⁾، حيث توجد هذه الأشياء في جميع الثقافات واللغات إلا أنها تختلف في الاستخدام من ثقافة لأخرى، ويعتبر التحدي الحقيقي في مثل تلك الفروق في ثقافات التواصل أنها يمكن أن تؤدي إلى التقدير الخاطئ لما يقصده هؤلاء الأفراد الذين يستخدمونها.

فمثلاً استخدام الطلبة العرب النغمات الصوت المرتفعة High Intonation، أو الأساليب البلاغية الشائعة في اللغة العربية قد يعتبره الطالب أو المعلم الإنجليزي مثلاً نوعاً من العدوانية Aggression، والسبب الأساسي في ذلك هو اختلاف ثقافات التواصل، وأيضاً استخدام كلمتي نعم (Yes) ولا (No) قد يختلف من ثقافة إلى أخرى حيث تستخدم كلمة نعم في بعض الثقافات لتدل على الموافقة، بينما تستخدم في ثقافة أخرى لتدل على أن الشخص يتابع ما يقوله الآخر، وقد يؤدي استخدام الوقف الموقت أثناء الكلام Pause إلى سوء فهم أيضاً حيث يختلف طوله من ثقافة لأخرى⁽²⁾ الأمر الذي قد يؤثر على العملية التعليمية للطلبة الوافدين، خاصة أثناء المناقشات وإعطاء التقارير الشفهية داخل حجرات الدراسة، الأمر الذي

(1) Martin Cortazzi and Lixian Jin, Ibid, P. 79.

(2) Ibid, pp 80 – 83.

قد يؤدي بالطلبة الوافدين إلى الميل للانعزالية وعدم المشاركة في المناشط التعليمية المتعلقة بعملية التواصل.

المحور الثالث: أثر الثقافة على عملية التعلم : Cultures Of Learning

ويمكن أن يسمى ثقافات التعلم، ويشير إلى المعتقدات والقيم الثقافية Cultural Beliefs And Values عن التعليم والتعلم، وأيضاً السلوكيات المتوقعة داخل حجرات الدراسة، وما يميز العمل الجيد Good Work عن غيره، أى أن هذا التأثير يهتم بما يدور داخل حجرات الدراسة فى إطار ثقافى معين ومن ثم فهى تشمل كل من الثقافات الأكاديمية وثقافات التواصل⁽¹⁾

فيصعب على طلبة بعض دول أوروبا الشرقية - على سبيل المثال - فهم معنى كلمة مقال مكتوب Essay، والذي يجاب عنه بكتابة مقال فى الامتحان، وذلك لأنهم فى بلادهم الأصلية كانوا يمتحنون فى هذه المادة شفهيًا، ولمزيد من الإيضاح فالجدول التالى يوضح الفروق فى ثقافات التعلم بين المعلمين البريطانيين والطلبة الصينيين فيما يتعلق بوجهه نظر كل منهم عن دور كل من المعلم والطالب داخل حجرة الدراسة⁽²⁾.

جدول رقم (٢)

يوضح المقارنة بين ثقافات التعلم لدى كل من المعلمين البريطانيين والطلبة الصينيين فيما يتعلق بأدوار المعلم والطالب داخل حجرات الدراسة.:

الطلبة الصينيون	المعلمون البريطانيون
أدوار المعلم	
<ul style="list-style-type: none"> - مصدر للسلطة Authority والمعرفة Expert - نموذج يحتذى به لأنه يعرف كل شيء - والد و صديق - يعرف مشكلات الطلبة - يجيب على الأسئلة ويعلمنا ماذا نفعل 	<ul style="list-style-type: none"> - منظم Organizer وميسر Facilitator لعملية التعلم داخل حجرة الدراسة - نموذج يحتذى به فى كيفية التوصل للمعلومات - ناقد ودود Friendly Critic
أدوار الطالب	
<ul style="list-style-type: none"> - يجب عليه المساهمة الجماعية Collective - والتعلم والتلمذة Apprenticeship و Harmony والاستدلال Deductive Learning - يحترم المعلم ويتعلم عن طريق التلقين - يتعلم الطرق والمقدمات الفنية - يركز على النتائج 	<ul style="list-style-type: none"> - ينمى فى نفسه الاستقلالية Independence - والفردية Individuality والإبداع Creativity والتعلم الاستنتاجى Inductive Learning - يشارك فى الحوار والمناقشة - يستخدم التفكير الناقد Critical Thinking - يركز على مهارات البحث - يطلب المساعدة عند وجود مشكلة - يتوصل للإجابات بنفسه - يعلم ما ينبغى فعله

⁽¹⁾Martin Cortazzi and Lixian Jin, Ibid, P. 83.

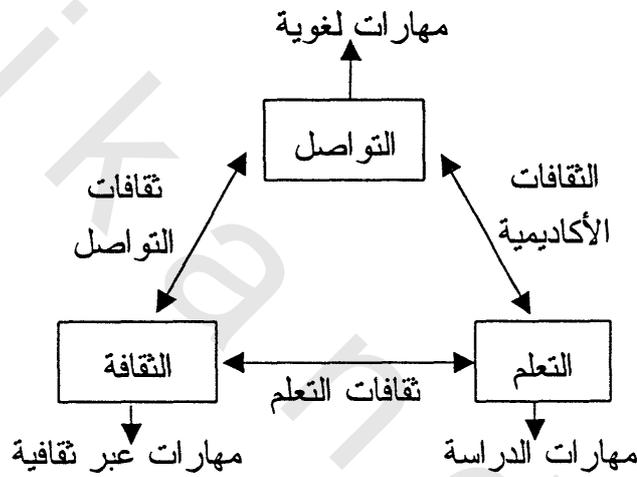
⁽²⁾Ibid, P. 84 - 86

ويتضح من الجدول السابق التباين الشديد بين وجهة نظر كل من الفئتين - المتباينتين ثقافياً - حول دور كل من المعلم والطالب في العملية التعليمية، الأمر الذي قد يؤدي إلى سوء فهم Misunderstanding كل منهما لسلوكيات الآخر.

وعند وجود التباين بين ثقافة كل من المعلم والطالب وعدم معرفة كل منها الثقافة التعلم الموجودة لدى الآخر يحدث ما يسمى بالفجوة الثقافية Cultural Gap بين ما هو موجود بالفعل لدى الطالب من ثقافات تتعلق بعملية التعلم وبين ما يمارس داخل حجرات الدراسة والشكل التالي⁽¹⁾ يوضح العلاقة بين الثقافة والتعلم والتواصل.

شكل رقم (1)

يوضح العلاقة بين الثقافة والتعلم والتواصل



٢- الصدمة الثقافية Cultural Shock

التباين الثقافي بين المجتمع الأصلي للطالب الأجنبي والمجتمع الذي يدرس فيه يجعل الطالب في موقف مشكل، وذلك من خلال المقارنة بين ثقافته الأصيلة وبين الثقافة المضيفة Host Culture، أي منها يقبل وأي منها يرفض، وكيف يستطيع التوفيق بينهما، ولقد أشار بعض الطلاب الأجانب إلى ذلك عندما قال "يجب على أن أقبل بعض الممارسات التي لا أوافق عليها، ببساطة لأنها لا تتفق مع عاداتي وتقاليدى، فكل ما تعلمته في بلدى، وكل قيمى لا تتفق مع شىء فى ذلك المجتمع الجديد ويتحتم علىّ أن أصبح شخصاً مختلفاً حتى أستطع أن أساير هذه الممارسات وأعتقد أن أفراد عائلتى لو رأونى الآن سيلحظون أننى قد تغيرت

(1) Martin Cortazzi and Lixian Jin, Ibid, P. 77.

كثيراً لأننى أقبل مثل هذه الأشياء التى تتنافى تماماً مع تربيتى"^(١) ينتج عن ذلك الإرباك الناتج عن الوقوع بين ثقافتين ما يسمى بالصدمة الثقافية Cultural Shock

ويعرف بريسلين R. Brislin الصدمة الثقافية بأنها "الشعور بالحيرة وافتقاد المساعدة ووجود متطلبات متعددة Multiple Demands تحتاج إلى الإشباع، ويحدث ذلك عندما ينتقل الفرد من ثقافة لأخرى"^(٢) ويعرفها البعض بأنها "رد الفعل الانفعالى Emotional Reaction الناتج عن عدم القدرة على فهم سلوك الآخرين والتنبؤ به، أو هى قلة الألفة مع البيئة المحيطة بالفرد"^(٣) ويشير مفهوم الصدمة الثقافية ضمناً إلى أن "خبرة المعيشة فى بلد أجنبى ذى ثقافة مختلفة أو زيارته تكون خبرة غير سارة مما قد يسبب صدمة لدى الفرد وذلك لما تحويه من خبرات غير متوقعة، أو لأنها يمكن أن تؤدى بالفرد إلى القيام بعملية تقويم سلبية Evaluation Negative لثقافته الأصلية أو للثقافات الأخرى"^(٤).

وأول من استخدم مصطلح الصدمة الثقافية عالم الأنثروبولوجيا الشهير Anthropologist أوبرج Oberg عام (١٩٦٠) حيث أشار إلى أن هناك ست علامات للصدمة الثقافية^(٥) وهى:

- ١- التوتر Strain الناتج عن الجهد اللازم لإحداث التكيف النفسى Psychological Adaptation مع الثقافة الجديدة.
- ٢- الشعور بالضياع Sense Of Loss والحرم Deprivation وذلك فيما يتعلق بالأصدقاء والمكانة الاجتماعية والمهنة Profession والممتلكات Possessions .
- ٣- عدم تقبل الفرد لأعضاء الثقافة الجديدة أو عدم تقبلهم له.

(1) See:

- Robert Harris (1995) Loc Cit.
- (1997) Op Cit, P. 39.

(2) Richard Brislin, Op Cit, P. 237.

(3) Adrian Furnham (1997) The Experience of Being an Overseas Students. in David McNamara and Robert Harris (Eds) Overseas Students in Higher Education, Issues in Teaching and Learning, London Routledge, P. 15.

(4) Ibid, P. 14.

(5) J.Oberg (1960) Cultural Shock: Adjustment to New Cultural Environments, Practical Anthropology, Vol. 7, PP 176 – 182, نقلاً عن Adrian Furnham (1997) Op Cit. PP 15 – 16.

٤- الاضطراب والارتباك Confusion وذلك فيما يتعلق بالقيم والمشاعر والهوية الشخصية
. Self-Identity

٥- المفاجأة والقلق، وحتى الاشمئزاز Disgust والسخط Indignation وذلك عند إدراك
الفروق الثقافية بين ثقافته الأصلية والثقافة الجديدة.

٦- الشعور بالعجز Impotence بسبب عدم القدرة على التكيف مع البيئة الجديدة.

ومن ثم يمكن القول أن الصدمة الثقافية للطلبة الأجانب، أو لأي فرد ينتقل من ثقافته
الأصلية إلى ثقافة جديدة قد تنتج عن فقد الأشياء المألوفة والتي هي بمثابة الرموز Symbols
للتعامل الاجتماعي Social Intercourse. وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد العديد من المرادفات
لمصطلح الصدمة الثقافية، فيطلق عليه المرض الثقافي Culture Fatigue، وصدمة اللغة
Language Shock، وصدمة الدور Role Shock، والغموض المنتشر Pervasive
Ambiguity، والحق أن الصدمة الثقافية بمعناها الواسع تشمل ذلك كله^(١).

ولقد أكدت الأدبيات على مواجهة الطلبة الأجانب بالصدمة الثقافية أثناء دراستهم في
ثقافة أخرى^(٢)، ففي دراسة الصباغ (١٩٩٣) والتي استهدفت التعرف على عملية التوافق
Adaptation لبعض الطلبة العرب الذين يدرسون بالولايات المتحدة مع الثقافة الأمريكية
أشارت إلى أن التصادم الثقافي Culture Clash، والصدمة الثقافية من أهم العوامل المؤثرة
في قدرة هؤلاء الطلبة على التكيف مع الثقافة الأمريكية^(٣).

وتجدر الإشارة إلى أن حدة الصدمة الثقافية قد تختلف من شخص لآخر تبعاً لخلفيته
الثقافية، فالأفراد ذوي الخبرات والخلفيات متعددة الثقافات Multi Cultural Backgrounds
يمكن أن يتكيفوا بسهولة مع البيئة الثقافية الجديدة، فبالرغم من أن الصدمة الثقافية غالباً ما
ترتبط بالنواحي السلبية، إلا أنها يمكن أن تكون هامة جداً للتطوير الذاتي - Self
Development والنمو الشخصي Personal Growth، فهي بمثابة خبرة انتقالية يمكن أن
تسهم بفعالية في عملية التكيف مع القيم والاتجاهات وأنماط السلوك الجديدة^(٤).

(١) Adrian Furnham, Loc Cit

(٢) لمزيد من التفصيل أنظر الدراسات السابقة.

(٣) Entisar Al - Banna Sabagh (1993) Neither an Immigrant nor a Visitor: An Interactional Study of the Adaptation of Temporary Residence by Arabic - Speaking Students in the American Culture, Ph.D., The University of Arizona, Dissertation Abstracts International, Vol. 54 - 1 A, P. 228.

(٤) Adrian Furnham, Loc Cit.

٣- الحنين إلى الوطن، والوحدة Homesickness and Loneliness.

يعد الحنين إلى الوطن والتفكير الدائم في الأهل والوطن من أهم الظواهر السيكولوجية لدى الأجانب - طلاباً كانوا أم أفراداً آخرين -، فالفرد الذي ينتقل للعيش في ثقافة أخرى يشعر بفطرته بالحنين إلى ماضيه، والذي يتمثل في الثقافة الأصلية بكل ما تشمله من مفردات، فلقد أنبت دراسة فوليت وأنج Volet and Ang (١٩٩٨) أن الطلبة الأجانب يعانون من الحنين للوطن والوحدة والضغط في البيئة المضيفة، كما أثبتت دراسات أخرى أنه توجد صعوبات لدى الطلاب الأجانب في تكوين صداقات مع الطلاب المحليين^(١).

ويعرف الحنين إلى الوطن Homesickness بأنه "شعور ينتاب أولئك الذين يتركون أوطانهم ويعيشون في ثقافة أخرى"^(٢) وهناك العديد من المظاهر السيكولوجية Psychological Features التي تدل على شعور الفرد بالحنين إلى الوطن، كالتفكير الدائم في الوطن، والحاجة الماسة إلى الرجوع إليه، والشعور بالحزن بسبب البعد عما هو مألوف لديه كالأهل والأصدقاء والمنزل.

وأشارت فيشر وهود Fisher and Hood إلى بعض الخصائص التي قد تميز بين من يشعرون بالحنين إلى الوطن والوحدة وبين غيرهم من الأفراد منها:

- المعيشة بعيداً عن المنزل والأهل.
- ضعف الرضا Less Satisfaction عن المسكن الحالي والصداقات Friendships الحالية مقارنة بما مضى.
- يتوقعون أن تكون لديهم صداقات أفضل في المستقبل.

كما أشارت إلى بعض المظاهر المعرفية Cognitive Features لهؤلاء الطلبة مثل ضعف التركيز Poor Concentration، والتأخر في عمل الواجبات الدراسية، وعدم إتقانها، كما أشارت أيضاً إلى أن الحنين إلى الوطن والشعور بالوحدة من الظواهر الهامة والتي يمكن أن تؤثر على الأداء الأكاديمي Academic Performance للطلاب ولو لفترة قصيرة^(٣).

(1) S. E. Volet And G. Ang, Loc Cit.

(2) Adrian Furnham, Op Cit, P. 17.

(3) See:

- S. Fisher et al (1985) Homesickness, Health and Efficacy in First Year Students, Journal of Environmental Psychology, Vol. 5, Pp. 181 – 195.
- S. Fisher and B. Hood (1987) The Stress of the Transition to University: A Longitudinal Study of Psychological Disturbance, Absent – Minders and Vulnerability to Homesickness, British Journal of Psychology, Vol. 78, PP. 425 – 441.

وفى دراسة قام بها بريون وآخرون (Brewin et al 1989) هدفت إلى التعرف على مظاهر ومحددات ظاهرة الحنين إلى الوطن، وذلك من خلال عينتين من طلبة السنة الأولى الذين تركوا أوطانهم لأول مرة، توصلت إلى أن الحنين للوطن ظاهرة عامة Common Phenomenon بين هؤلاء الطلاب، ولكنها تستمر قصيراً، كما توصلت إلى أنه بالرغم من تساوى الذكور والإناث فى التعرض لتلك الظاهرة إلا أن الإناث كن أكثر رغبة فى مناقشة مشاعرهن مع الآخرين⁽¹⁾.

فى ظل الضغط النفسى الذى ينتج عن الحنين للوطن وشعور الفرد بالوحدة فى تلك الثقافة الجديدة يلعب الدعم الاجتماعى Social Support - والذى يتمثل فى شكل صداقات Friendship - دوراً هاماً فى التغلب - ولو نسبياً - على تلك الضغوط النفسية.

وتشير الأدبيات إلى أن الدعم الاجتماعى من خلال إنشاء صداقات فى الثقافة الجديدة يؤدي إلى تقليل الضغوط على الطالب الأجنبى، وذلك لما توفره من معلومات Information ومساعدة وجدانية Emotional وأخلاقية Moral ومادية فى بعض الأحيان، حيث يشعر الطالب أن هناك من يحبه ويقدره ويعتنى به ويتواصل معه، وأن الطالب الذى يكون لديه ولو صديق واحد من بلده تقل لديه المشكلات عن ليس له أصدقاء من وطنه على الإطلاق⁽²⁾.

ويوجد ثلاثة أنواع من الصداقات⁽³⁾ التى يقوم بها الطلبة الأجانب هى:

١- صداقات أحادية الثقافة Mono-cultural وهى تلك الصداقات التى تكون مع أفراد من نفس الوطن Compatriots، وفى هذا النوع من الصداقات يتمكن الفرد من التعبير عن قيمة الثقافية والعرقية دون أدنى حرج.

٢- صداقات ثنائية الثقافة Bicultural وتكون مع الزملاء Classmates والمرشدين، وفى هذا النوع يتمكن الفرد من تحقيق بعض طموحاته الأكاديمية والمهنية Academic And Professional Aspirations .

٣- صداقات متعددة الثقافات Multi - Cultural وتكون مع أى من الأفراد سواء بالمؤسسة التعليمية أم خارجها، وفى هذا النوع تتم ممارسة العديد من الأنشطة غير المتعلقة بالدراسة Non - Task Oriented Activities

(1) C. Brewin et al (1989) Demographic and Psychological Determinants of Homesickness and Confiding among Students, British Journal of Psychology, Vol. 80, PP. 467 - 477.

(2) Adrian Furnham, Op Cit, PP. 18,20.

(3) Ibid, P. 19.

ولقد أثبتت بعض من الدراسات تفضيل الطلاب الأجانب إقامة صداقات مع أقرانهم الذين من جنسيتهم على إقامة صداقات مع الطلاب المحليين، أو من جنسيات أخرى، وذلك للعديد من الأسباب منها:

أ. الارتباط الثقافي والوجداني Cultural – Emotional Connectedness، حيث يشعر الطالب بالارتياح لوجود من يفكر بنفس طريقتة ويستخدم أساليب تواصل متماثلة، ووجود موضوعات ذات اهتمام مشترك، وروح الدعابة Sense Of Humor عند التفاعل مع أقران لديهم نفس الخلفية الثقافية، فعندما يكون الطلاب من بلد واحد ولديهم خلفية ثقافية متماثلة فإن الارتباط العاطفي والثقافي يدعم الإحساس بالهوية Sense Of Identity في بلد أجنبي، وعند عدم وجود هؤلاء الأقران فإن هذا الارتباط الثقافي والوجداني، يمتد إلى أكثر الثقافات تشابهاً مع الثقافة الأم للطلاب.

ب. اللغة فوجود طلاب يتحدثون نفس لغة الطالب بمثابة عامل مشترك بينهما يدفعهم إلى التواصل وإقامة علاقات، وفي نفس الوقت يقف عدم إتقان الطالب للغة البلد المضيف حائلاً دون إقامة علاقات مع الطلاب من غير جنسيته وثقافته.

ج. الانطباعات السالبة Negative Stereotypes، حيث قد توجد انطباعات سالبة لدى الطلبة الأجانب تجاه زملائهم المحليين، وكذلك العكس مما يجعل كل منهم يفضل التعامل مع من يماثلونه^(١).

٤- اللغة Language .

اللغة - مكتوبة أو مسموعة، منطوقة أو مقروءة - هي الوسيط الأول للتفاهم مع الآخرين أياً كانت انتماءاتهم، فيكفي للتواصل مع الآخرين أن تكون هناك لغة مشتركة بيننا وبين "اللغة هي العنصر المركزي لكفاءة الاتصال، على الرغم من أنها ليست العنصر الوحيد"^(٢). وفي حالة الطلبة الأجانب تمثل اللغة مصدراً هاماً للمشكلات التي تواجههم سواء في السير في الدراسة أو في التعامل مع الآخرين. "القدرة على مواصلة الدراسة والتحصيل الأكاديمي لدى أي طالب تعتمد على عاملين أساسيين: الأول: المجهود الذي يبذله الطالب في الدراسة والتحصيل ويسمى مجهود الطالب Student Effort، والثاني: كفاءة الطالب في اللغة التي يدرس بها، حيث توجد علاقة دالة بين مستوى الكفاءة اللغوية للطلاب ومستوى التحصيل

(١) S. E. Volet And G. Ang, Loc Cit.

(٢) فلوريان كولماس (٢٠٠٠) اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد (٢٦٣)، ص ١٦٣.

الأكاديمية والنجاح في الدراسة"⁽¹⁾. فتوفر الكفاءة في لغة الدراسة ضروري للسير فيها، "حيث يعد التواصل شفهيًا أو تحريريًا من الكفايات الأساسية في عملية التعلم وهو من الضروريات اللازمة للطلبة الأجانب، حيث يحتاجون إلى مهارات لغوية متقدمة Advanced Language Skills تمكنهم من مواصلة الدراسة"⁽²⁾.

وتشير الأدبيات إلى أن الصعوبات اللغوية التي يواجهها الطلبة الأجانب الذين يدرسون بلغة أجنبية تؤثر سلباً على تعليمهم، ونقص الطلاقة Fluency في لغة الدراسة يبطئ قدرة الطالب على التعامل مع المعلومات، ويؤثر أيضاً على قدرته على التكيف مع بيئة التعلم الجديدة، فضعف الكفاءة اللغوية لدى الطالب الأجنبي قد يدفعه إلى حفظ ما لا يفهم، ومن ثم فالطلبة الأجانب الذين يواجهون صعوبات لغوية يقعون تحت وطأة ضغوط كبيرة، سواء داخل بيئة التعلم أو في المجتمع الخارجي، مما قد يؤثر على صحتهم العقلية والبدنية"⁽³⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن مشكلة اللغة لا تنحصر في العملية التعليمية فقط، بل تتعدى بيئة التعلم إلى البيئة الخارجية (المجتمع)، فلن يستطيع الطالب أن ينعزل عن المجتمع المحيط به سواء داخل المؤسسة التعليمية أو خارجها، ومن ثم يجب التركيز على تنمية مهارات اللغة الأربع لدى الطلبة الأجانب، وتلك المهارات هي مهارات الاستماع Listening Skills ومهارات التحدث Speaking Skills ومهارات القراءة Reading Skills ومهارات الكتابة Writing Skills"⁽⁴⁾.

ويجب الحذر من سوء تقدير أثر الكفاءة في لغة الدراسة لدى الطلبة الأجانب على جودة تعلمهم، فضعف الكفاءة اللغوية لدى الطلبة يعد من أهم مصادر صعوبات التعلم، ويزداد التباين في أساليب التعليم والتعلم لدى الطلبة بين وطنهم والبلاد المضيف عند وجود صعوبات لغوية Language Difficulties، ولذلك يجب على المؤسسات التعليمية ألا تقبل طلاباً دون المستوى في لغة الدراسة"⁽⁵⁾ وهذا ما تفعله الجامعات الأجنبية وسيأتي ذكر بعض الأمثلة فيما بعد.

(1) Wim Jochems et al, Loc Cit.

(2) Martine Cortazzi and Lixan Jin, Op Cit P. 76.

(3) S.E. Volet (1997) OP Cit, P. 32.

(4) Nadine K. Cammish (1997) Through a Glass Darkly: Problems of Studying at Advanced Level Through the Medium of English. In David McNamara and Robert Harris (Eds) Overseas Students in Higher Education: Issues in Teaching and Learning, London, Routledge, PP. 148 – 154.

(5) S. E. Volet (1997) Op Cit, P. 32.

وتجدر الإشارة إلى أن مشكلة الصعوبات اللغوية تزداد تفاقماً عند وجود لهجة عامية Colloquial، أو لهجات متعددة للغة الدراسة، وتظهر هذه المشكلات بوضوح من شكوى الطلاب الوافدين بجامعة الأزهر من صعوبة التواصل الجيد مع غيرهم من الطلاب المصريين، أو أعضاء هيئة التدريس، أو أفراد الشعب المصري بسبب وجود اللهجة العامية المصرية وهذا ما أكدته دراسة حسنى وعبد المالك (١٩٨٥) ودراسة المصري (١٩٩٣) ويتفق ذلك مع ما أشارت إليه دراسة سونارى Sonari (١٩٩٣) من شكوى الطلاب الأجانب بالجامعات الأمريكية من ضعف قدرتهم على فهم اللهجة العامية الأمريكية^(١).

ويمكن تبني العديد من الإستراتيجيات وصولاً إلى الكفاءة اللغوية Language Proficiency المطلوبة لدى الطلبة الأجانب منها ما يلي:

عدم السماح للطلبة الأجانب بالبدء فى الدراسة قبل الوصول إلى مستوى معين من الكفاءة فى لغة الدراسة يمكنهم من السير فيها والتعايش مع المجتمع الخارجى.

تنظيم دورات تحتوى على مقررات فى لغة الدراسة للطلاب الذين لم يحققوا قدراً كافياً من الكفاءة اللغوية فى بلدهم قبل الحضور للدراسة فى البلد المضيف -، وتعد هذه المقررات من الأهمية بمكان، حيث تتيح الفرصة للطلبة للتعرف على بعض الملامح الثقافية Cultural Features لأساليب التدريس فى البلد المضيف^(٢).

وهناك جدل حول أفضل الطرق لمساعدة الطلبة الأجانب ذوى الصعوبات اللغوية فى لغة الدراسة إلا أن أشهر طريقتين هما:

١- برامج المساعدة العامة General Support Programs وتعنى بمساعدة الطلبة لتنمية مهاراتهم اللغوية بصفة عامة دون التركيز على مجال الدراسة، ولعل ذلك أكثر عقلانية لأن التراكيب اللغوية العامة هى ذاتها التى تستخدم فى مجال الدراسة، بالإضافة إلى أن المصطلحات المتخصصة فى مجال الدراسة يتم شرحها باستخدام اللغة عموماً وتستخدم هذه الطريقة فى معظم المعاهد والجامعات.

(١) انظر

- حسن عبد المالك محمود ، محمد محمود حسنى ، مرجع سابق.

- مجدى سعد عوض المصرى، مرجع سابق.

Alateme Jesse Sonari, Loc Cit.

(2) S. E. Volet (1997) Loc Cit.

٢- فصول دراسية متخصصة Specialized Language Courses على مستوى القسم الذى يدرس به الطالب، ويتم تصميم مثل هذه الفصول الدراسية لمساعدة الطلبة على فهم اللغة الخاصة Jargon بالنظام الذى يدرسون فيه، أو لتنمية مهارات لغوية فى مجال دراسى معين، وفى مثل تلك الفصول يمكن استخدام مواد أصلية Authentic Materials تتعلق بمجال الدراسة، وبذلك يتم تنمية المهارات اللغوية للطلاب إضافة إلى مساعدته فى مجال الدراسة، ولا يتم تنظيم مثل الفصول الدراسية للطلاب الأجانب فقط، ولكن للطلاب المحليين أيضاً لما لها من فائدة لهم، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الطريقة يكتفها العديد من الصعوبات:- أهمها صعوبة وجود أعضاء هيئة تدريس متخصصين فى مجال دراسى معين ومتخصصين فى اللغة فى نفس الوقت^(١).

وللتغلب على الصعوبات اللغوية التى يمكن أن تواجه الطلبة الأجانب فى المؤسسات التعليمية فى البلاد الناطقة بالإنجليزية مثل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا تشترط تلك المؤسسات اجتياز الطالب لامتحان معين قبل قبوله مبدئياً بتلك المؤسسات، وقبل سفره من بلده فإن لم يحصل على الدرجة المطلوبة فى ذلك الامتحان لا يقبل فى تلك المؤسسة التعليمية وهناك العديد من الاختبارات المعدة لذلك أهمها اختباران^(٢).

الأول: النظام الدولى لاختبار اللغة الإنجليزية International English Language Testing System (IELTS) وهذا الاختبار بريطانى الأصل وضعت مؤسسة الاختبارات المحلية بجامعة كمبردج (UCLES)، ويحتوى على مجموعة من الأسئلة المقننة لقياس كفاءة الطالب فى مهارات اللغة الأربع (التحدث والاستماع والقراءة والكتابة).

الثانى: اختبار اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية Test Of English As A Foreign Language (TOEFL) وهذا الاختبار أمريكى، وضعت وحدة الخدمة الاختبارية التعليمية بيرينستون The Educational Testing Service In Princeton، ويقاس مستوى الطالب فى الاستماع والقواعد Grammar والمفردات اللغوية Vocabulary وقطع الفهم Reading Comprehension، وتجدر الإشارة إلى أن القائمين على أمر الجامعات فى بريطانيا يفضلون اجتياز الطالب لاختبار (IELTS)، بينما يفضل الأمريكيون اختبار (TOEFL)،

^(١)S. E. Volet (1997), Idid, P. 34.

^(٢) Murray Macrae (1997) The Induction of International Students to Academic Life in The United Kingdom, in David McNamara and Robert Harris (Eds) Overseas Students in Higher Education: Issues in Teaching and Learning, London, Routledge, PP. 129 – 131.

وفيما يلي جدول يوضح المقارنة بين درجات كل من الاختبارين ومستويات الكفاءة اللغوية لكل درجة^(١).

جدول رقم (٢)

يوضح المقارنة بين درجات (IELTS) و (TOEFL) ومستوى الكفاءة اللغوية لكل درجة

التعليق	TOEFL	IELTS
مستوى مماثل للناطقين باللغة الإنجليزية، ويكفي لمتطلبات الدراسة ولا توجد حاجة لمقررات دراسية في اللغة الإنجليزية	٥٧٥ فأكثر	٦,٥ أكثر
مستوى يمكنك من مواصلة الدراسة، ولكنك سوف تكون بحاجة للمساعدة، ويفضل أخذ مقرر دراسي من شهر إلى ثلاثة أشهر في اللغة الإنجليزية قبل البدء في الدراسة.	٥٧٤-٥٢٥	٦-٥,٥
مستوى يمكنك من مواصلة الدراسة في التخصصات التقنية فقط وسوف تكون بحاجة للمساعدة، وتحتاج إلى مقرر دراسي من ثلاثة إلى ستة أشهر في اللغة الإنجليزية قبل البدء في الدراسة.	٥٢٤-٤٧٥	٥-٤,٥
مستوى منخفض يمكنك فقط من التواصل مع الآخرين في الموضوعات البسيطة، وتحتاج لمقرر دراسي من تسعة إلى اثني عشر شهراً في اللغة الإنجليزية قبل البدء في الدراسة.	أقل من ٤٧٥	أقل من ٤,٥

فمثلاً جامعة شرق أنجاليا East Anglia ببريطانيا تطلب الحصول على (٦) درجات أو يزيد في (IELTS) أو (٥٥٠) درجة أو يزيد في (TOEFL)^(٢) وكذلك جامعة بليموث University Of Plymouth تطلب (٦) درجات أو يزيد في (IELTS) أو (٥٥٠) درجة أو يزيد في (TOEFL)^(٣) أما جامعة برمنجهام University of Birmingham فتطلب (٥.٥) درجة أو يزيد في (IELTS) أو (٥٠٠) درجة أو يزيد في (TOEFL)^(٤) بينما تطلب جامعة وريك The University of Warwick (٧) درجات أو يزيد في (IELTS) أو (٦٢٠) درجة أو يزيد في (TOEFL)^(٥).

(1) Murray Macrae Ibid, PP 132, 134.

(2) The University of East Anglia (2000) Postgraduate Prospectus, Entry 2000, P. 23.

(3) The University of Plymouth (2000) Postgraduate Prospectus, Entry 2000, P. 13.

(4) The University of Birmingham (1999) Postgraduate Prospectus, Entry 1999, P. 30.

(5) The University of Warwick (2000) Graduate School Prospectus, Year 2000, P 147.

وتجدر الإشارة بهذا الصدد إلى أن اجتياز مثل هذه الاختبارات بالمستوى الذي تطالبه المؤسسات التعليمية وإن كان يفيد في التنبؤ بقدرة الطالب على مواصلة دراسته في البلد المضيف، قد لا يكون مجدداً بنفس الدرجة في التنبؤ بقدرة الطالب على الانخراط في المجتمع الخارجي بعيداً عن البيئة الدراسية، وذلك لأسباب عديدة من أهمها تعدد اللهجات للغة الواحدة، إضافة إلى اللهجات العامية المستخدمة في الحياة اليومية في المتجر والمسكن والمطعم والشارع الخ.

ويؤكد ذلك ما أشار إليه فوليت S.E. Volet (1997) حيث تم سؤال الطلبة الأجانب في استراليا عن المقررات في اللغة الإنجليزية، وأشار العديد منهم إلى أنها كافية للنواحي الدراسية، إلا أنهم في حاجة ماسة للتفاعل Interaction مع متحدثي اللغة الأصليين Native Speakers، مما دعا القائمين على أمر هذه المقررات الدراسية إلى التوجه لإعداد حزم لغوية Language Packages لا تكفي بتقديم لغة الدراسة مقترنة ببعض الوعي الثقافي Cultural Awareness فقط، بل تتيح الفرصة لهؤلاء الطلبة للانغماس والانخراط في ثقافة البلد المضيف، عن طريق الإقامة مع العائلات Homestay Accommodation والخروج في العطلات الأسبوعية والإجازات في رحلات مع تلك العائلات، وإن كان تنظيم مثل هذه الأنشطة من الصعوبة بمكان إلا أن له دوراً كبيراً في تنمية الكفاءات اللغوية ومهارات التواصل Communication Skills لدى هؤلاء الطلبة⁽¹⁾، "حيث أن درجة إتقان اللغة الثانية يزداد بتعود التعامل من خلالها، واقتناص الفرد للفرص والظروف التي يستخدمها فيها، وبأى درجة من التكرار، إضافة إلى التحدث اليومي من خلالها مع الأهل والأصدقاء والزملاء في العمل أو الدراسة"⁽²⁾

٥. صعوبة التكيف الاجتماعي والثقافي والأكاديمي لدى الطلبة الوافدين:

في ظل التباين الثقافي والاجتماعي بين المجتمع الأصلي للطالب الوافد وبين المجتمع الجديد الذي يدرس به وما ينتج عن ذلك من آثار مثل حدوث الصدمة الثقافية والحزن للوطن والشعور بالوحدة، والصعوبات اللغوية تحدث عملية التكيف الاجتماعي والثقافي مع المجتمع الجديد، وذلك للتغلب على تلك الآثار الناجمة عن العيش في مجتمع متباين ثقافياً واجتماعياً.

(1) S. E. Volet (1997) Op Cit, P. 33.

(2) عابدين محمد شريف (1999) الثنائية اللغوية واشكالية التعليم في المجتمعات ذات الثقافات المتعددة: دراسة مقارنة لإقليم السودان، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، عدد (٨٠) ص ٣٠٩ - ٣٣٦.

ويعرف التكيف الاجتماعى Social Adjustment بأنه "العملية الدينامية المستمرة التى يقوم بها الفرد (الطالب) فى علاقته مع البيئة بحيث يودى إلى تحقيق الاتزان بينه وبين ذاته من ناحية، وبينه وبين الوسط الذى يعيش فيه من ناحية أخرى، ويجعله أكثر تقبلاً للآخرين بصورة موضوعية وواقعية، بالإضافة إلى الانضمام للجماعات الاجتماعية وممارسة الأنشطة المختلفة والقدرة على تكوين العلاقات الاجتماعية"^(١) والتكيف الثقافى الذى يعد أحد مكونات التكيف الاجتماعى "يشير إلى العملية التى يحصل من خلالها الفرد أو الجماعة على الخصائص الثقافية لفرد أو جماعة أخرى، من خلال الاتصال المباشر والتفاعل"^(٢).

ويعرف زهران (١٩٧٤) التكيف الاجتماعى بأنه "السعادة مع الآخرين والالتزام بأخلاقيات المجتمع ومسايرة المعايير الاجتماعية والامتثال لقواعد الضبط الاجتماعى، وتقبل التغير الاجتماعى، والتفاعل الاجتماعى السليم، والعمل لخير الجماعة .. مما يودى إلى تحقيق الصحة الاجتماعية"^(٣) ويعرفه محمد مصطفى بأنه "تلك العمليات التى يحقق بها الفرد نوعاً من التوازن فى علاقاته الاجتماعية، التى يستطيع من خلالها إشباع حاجاته فى حدود ثقافة المجتمع"^(٤) ويعرفه السكرى بأنه "الجهود النشطة التى يبذلها الأفراد والجنس البشرى على مدى فترة حياتهم لتحقيق أفضل توافق مع بيئتهم حتى يستطيعوا البقاء ويتطوروا ويؤدوا وظائفهم الإنتاجية"^(٥) أو هو "عملية تبادلية بين الفرد والبيئة، وغالباً ما يتضمن تغيير البيئة أو تغيير الفرد بواسطة البيئة"^(٦).

ويعرفه هاويس وهاويس Hawes And Hawes بأنه "العملية التى يتمكن فيها الفرد من تغيير سلوكياته العقلية والفيزيقية والانفعالية لتتناسب مع الظروف الجديدة فى البيئة المحيطة"^(٧) ويعرفه جود C. Good بأنه "عملية إيجاد وتبنى أنماط سلوكية مناسبة للبيئة أو للتغيرات الحادثة فيها"^(٨).

(١) على عمر فؤاد الكاشف (١٩٩٤) مضمون التكيف الاجتماعى ومدخله النظرية السوسولوجية والسيكولوجية فى التراث التربوى، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، عدد (٣٨)، ص ١ - ٤٩.

(٢) المرجع السابق

(٣) حامد زهران (١٩٧٤) الصحة النفسية والعلاج النفسى، القاهرة، عالم الكتب، ص ١٥٠.

(٤) محمد مصطفى أحمد (١٩٩٦) التكيف والمشكلات المدرسية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص ١١.

(٥) أحمد شفيق السكرى (٢٠٠٠) قاموس الخدمة الاجتماعية والخدمات الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص ١٨.

(٦) المرجع السابق.

(٧) Gene R. Hawes and Lynne Salop Hawes, Op Cit, p. 6.

(٨) Carter V. Good (Ed), Op Cit. P. 12.

ويتضح من التعريفات السابقة أن جوهر عملية التكيف الاجتماعي والثقافي والأكاديمي يتضمن بحث الفرد عن طرق مناسبة للتواؤم مع البيئة، سواء كانت بيئة التعلم أو المجتمع الخارجي، وقد يكون ذلك بأحداث تغييرات في سلوكياته، أو بمحاولة إحداث تغييرات في البيئة المحيطة، وعندما يفشل الفرد في إحداث ذلك التكيف تظهر صعوبات التكيف أو ما يسمى بعملية سوء التكيف Maladjustment . وتجدر الإشارة إلى أن "عملية التكيف سواء كان الاجتماعي أو الثقافي أو الأكاديمي عملية مستمرة، حيث أن الإنسان في تفاعل مستمر مع بيئته المادية والاجتماعية وهو إما في حالة التوازن مع تلك البيئة، الأمر الذي يعنى أنه تكيف مع بيئته، وإما في حالة من عدم الاتزان، الأمر الذي يعنى سوء التكيف مع بيئته والذي يتطلب من ذلك الفرد محاولة التكيف معها، والأفراد يختلفون فيما بينهم في أساليب إشباع حاجاتهم للاحتفاظ بالتوازن والتكيف النسبي، فكأن التكيف يطلق على عملية ديناميكية مستمرة تبين تفاعل الفرد مع بيئته⁽¹⁾.

وتنشأ صعوبة تكيف الطالب الوافد مع البيئة الجديدة من الاختلاف بين البيئة الثقافية (والاجتماعية والأكاديمية) التي نشأ فيها الطالب وبين البيئة الجديدة التي انتقل إليها، حيث أن سلوك الفرد يتحدد نتيجة لتفاعله مع البيئة الاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها، وبالتالي فإن انتقاله إلى بيئة مختلفة وتكيفه معها يتطلب منه تعديل هذا السلوك بدرجة تمكنه من التكيف مع تلك البيئة الجديدة والامتثال لها وهذه العملية قد لا تحدث بين لحظة وأخرى، بل ربما يستغرق ذلك وقتاً طويلاً وتحدث على مراحل يمكن إيجازها في مرحلتين رئيسيتين⁽²⁾:

١- مرحلة ما قبل التكيف أو الانتقال للبيئة الجديدة: وفي هذه المرحلة غالباً ما يكون الطالب في حالة صراع بينه وبين محيطه الجديد، أي بين ثقافتين: قديمة نشأ في ظلها وتمثل قيمها وأنماطها السلوكية، وجديدة انتقل إليها.

٢- مرحلة التكيف أو عدم التكيف مع البيئة الجديدة، وفي هذه المرحلة ينقسم الطلاب بين التكيف وعدمه إلى ثلاث مجموعات:

أ- مجموعة تتشابه ثقافة طلابها مع البيئة الجديدة، وبالتالي يستطيع أفرادها التكيف في أقل وقت ممكن، وبذلك تكون هذه المجموعة أقل تعرضاً لمشكلات قد

(1) محمد مصطفى أحمد، مرجع سابق، ص ٣٥.

(2) David Mize (1978) Social, Cultural and Religious Factors Affecting North African Students: Students From The Arab World And Iran, Washington National Association For Foreign Students Affairs, PP 28 – 30. نقلًا عن

- سامية عبد العزيز عبد الباري، مرجع سابق، ص ٧ - ٩.

تتجم عن ذلك الوسط الجديد، (وقد ينطبق ذلك على معظم الطلبة العرب الذين يدرسون في جامعة الأزهر).

ب- مجموعة ليس بين ثقافتها وبين البيئة الجديدة تشابه، ولكن أفرادها يبديون عدم تمسكهم بالتحفظات الثقافية تجاه البيئة الجديدة، وهذه المجموعة قد تتكيف مع الوسط الثقافي الجديد ولكن ذلك قد يستغرق وقتاً أطول.

ج- أما المجموعة الثالثة فليس بين ثقافتها وبين البيئة الجديدة تشابه، وأفرادها يصرون على التمسك بترائهم الثقافي القديم ولا يستسيغون النظم والأوضاع الجديدة، وهذه المجموعة قد تتكيف وقد لا تتكيف، وإذا حدث التكيف فغالباً ما يصاحبه مشكلات عديدة.

و عملية التكيف قد تستغرق وقتاً وتمر بمراحل عديدة وهذه المراحل تكون نسقاً متكاملًا لعملية التكيف، فكل منها تعد تمهيدية للمرحلة التي تليها، فهي عملية تدريجية، وأشار عثمان محمد Othman Mohamed في دراسته عن التكيف لدى طلبة جنوب شرق آسيا إلى أن لعملية تكيف الطلبة الأجانب أربعة مراحل يمكن إيجازها فيما يلي⁽¹⁾:-

أولاً: مرحلة التوجه والاستقلالية The Orientation and Autonomy Stage

وتبدأ هذه المرحلة من لحظة وصول الطالب إلى البلد المضيف، حيث يبدأ في التعامل مع البيئة الجديدة والتي قد تمثل له تحدياً Challenge وتهديداً Threat. فإن عليه أن يتعلم العديد من المهارات حتى يتواءم مع الطعام الجديد، والملابس، والمسكن، والطقس، والتعاملات الاجتماعية، باختصار شكليات Plethora الثقافة الجديدة، وتستمر هذه المرحلة ما بين شهرين إلى ثلاثة أشهر. وقد تكون هذه المرحلة فرصة جديدة للتعود على الاستقلالية.

ثانياً: مرحلة إدراك الذات The Transitions of Self – Worth Stage

وتستمر هذه المرحلة من ثلاثة إلى ستة أشهر، يتمكن فيها الفرد من التعامل مع تحديات وتهديدات الثقافة الغربية Alien Culture. وتكون هذه المرحلة أكثر المراحل مواجهة للضغوط، وتتسم بالتردد بين قبول ورفض كل ما هو جديد ومختلف عن ثقافته الأصلية.

(1) Othman Mohamed (1997) Counseling for Excellence: Adjusting Development of South – East Asian Students, In David McNamara And Robert Harris (Eds) Overseas Students in Higher Education: Issues in Teaching And Learning, London, Routledge, pp. 167 – 169.

ثالثاً: مرحلة تقوية هوية الدور The Consolidation of Role Identity Stage

وفي هذه المرحلة يزداد وعي الطالب بما حوله من أنظمة متعددة في البيئة الجديدة، وتتضح لديه المتطلبات اللازمة لعملية التعلم، ويصبح التفاعل الاجتماعي Social Interaction مع الآخرين سهلاً ميسوراً، وتتضح له أيضاً متطلبات النجاح الأكاديمي، والذي يمثل الغرض الأساسي من وجوده في البلد المضيف.

رابعاً: مرحلة الكفاءة والنضج التكاملي.

The Competence and Integrative Maturate Stage

وتتسم هذه المرحلة بالطموح والثقة Confidence، وتتيح لهم قدراً من الحرية، ويشرك الآخرين في نجاحاته واحفائاته، ويتضح لديه أيضاً أهمية تحقيق النجاح بسبب ما تتفقه عليه عائلته أو دولته من النقود.

هذا ويمكن التمييز بين نوعين من التكيف: الأول التكيف الاجتماعي والثقافي، والثاني التكيف الأكاديمي.

١ - التكيف الاجتماعي والثقافي:

وهو ما يقوم به الفرد ليتوازن في علاقته مع البيئة الجديدة وثقافتها والتي تتأثر بالفروق الثقافية بين مجتمعه الأصلي والمجتمع الجديد^(١). وتبدو أهمية عملية التكيف الثقافي بشكل واضح عندما تنتقل جماعة من مجتمع إلى آخر يختلف عن مجتمعها الأصلي في تراثه الثقافي، ففي هذه الحالة تواجه هذه الجماعة صراعاً داخلياً عميقاً بين ثقافتين، إحداهما قديمة نشأ وافي ظلها وتمثلوا قيمها وأنماطها السلوكية، والأخرى جديدة انتقلوا إليها ويرغبون في السير وفقاً لمعاييرها وقيمها، وهذا ما يؤدي إلى سوء التكيف الثقافي Cultural Maladjustment، ويتحقق التكيف الثقافي من خلال مجموعة من العمليات التي قد تحدث وقد تؤدي بعض أدوارها في وقت واحد مثل الإضافة Addition، والتجديد Renewal، والاندماج Amalgamation، والتمثيل Assimilation، والانصهار Fusion، ولعامل الزمن أثر واضح في عملية التكيف الثقافي فكلما طالت مدة إقامة الفرد في الوسط الجديد كلما

(1) Nigel Grant (1997) Some Problems of Identity and Education: Comparative Examination of Multicultural Education, Comparative Education, Vol. 33, No. 1, PP. 9-28.

زاد تكيفه بأنماطه الثقافية وزاد تمثله للأوضاع والنظم الجديدة، ومن ثم تترسب في شخصيته مع الأنماط الأولى جنباً إلى جنب^(١).

ومن ثم يتعلق هذا النوع من التكيف بقدرة الفرد على التفاعل مع البيئة المحيطة في غير النواحي الأكاديمية، وعند الفشل في ذلك تظهر صعوبات التكيف الاجتماعي والثقافي مع البيئة الجديدة، مما يؤدي إلى مواجهة هؤلاء الطلبة الأجانب بمشكلات في هذا المجال.

٢- التكيف الأكاديمي:

ويقصد به قدرة الطالب الأجنبي على التوافق مع البيئة الدراسية، حيث يعد ذلك مطلباً أساسياً لنجاح الطالب واستمراره في الدراسة، وعدم توفر هذا النوع من التكيف يعتبر مؤشراً على أن هناك حاجات غير مشبعة للطلاب داخل البيئة التي يدرس فيها، وعدم إشباع هذه الحاجات أو جزء منها سوف يؤدي إلى نقص مستوى التكيف مع بيئة المجتمع الدراسي لدى الطالب، مما يترتب عليه نقص أو تعثر في أدائه في النواحي الأكاديمية^(٢).

وتعد عملية التعرف على ديناميات Dynamics Of Adaptation تكيف الطلاب الأجانب مع السياق التعليمي الجديد - والذي يختلف حتماً عن السياق الذي تعلموا فيه من قبل- ضرورة من أجل إيجاد أشكال تعليمية جديدة تساعد هؤلاء الطلاب في عملية التكيف مع هذا السياق الجديد وتجعل الخبرات التعليمية ذات أهمية بالنسبة لهم^(٣).

وهناك نوعان^(٤) من التكيف الأكاديمي:

١- التكيف الأكاديمي المرتبط بالفروق الثقافية في متطلبات الدراسة Study Requirements بين وطن الطالب والبلد المضيف، حيث أثبتت العديد من الدراسات وجود فروق في المتطلبات الدراسية بين البلدان المختلفة، بل قد توجد فروق في تلك المتطلبات داخل القطر الواحد كما توجد بين سكان الريف والحضر في الصين وإندونيسيا وتايلاند.

(١) على عمر فؤاد الكاشف، مرجع سابق.

(٢) أحمد مهدي مصطفى، صالح عطية محمد (٢٠٠٠) دراسة لبعض المتغيرات المرتبطة بأبعاد التوافق مع البيئة الجامعة لدى عينة من طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم - المملكة العربية السعودية، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، عدد ٩٣، ص ٩٩ - ١٤٧.

(٣) S.E. Volet and Peter D. Renshaw (1995) Cross - Cultural Differences in University Student's Goals And Perceptions of Study Settings for Achieving their Own Goals, Higher Education, Vol. 30, No. 4, pp 407 - 433.

(٤) S. E. Volet (1997) Op Cit, pp. 35 - 38.

٢- التكيف الأكاديمي المرتبط بالفروق في متطلبات الدراسة بين المرحلة الجامعية والمراحل الدراسية السابقة عليها، وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من التكيف يشمل جميع طلاب السنة الأولى دوليين ومحليين.

وهناك سؤال يطرح نفسه وهو: لماذا تعتبر المعاهد المضيفة مفاهيمها عن التعليم والتعلم معياراً بينما أى اختلافات وتناقضات مع تلك المفاهيم من قبل الطلبة الأجانب قصوراً؟ ومن ثم، وحتى تتفادى تلك المؤسسات ذلك فإن الأحكام التقييمية عن الأنظمة التعليمية الأخرى يجب أن تزال في الدراسة عبر الدولية Cross – National Study، بمعنى أنه يجب على تلك المؤسسات أن توفر مساعدات علاجية Remedial Assistance لتحسين وتطوير أساليب تعليمية جديدة تتناسب مع الظروف الاجتماعية والثقافية والأكاديمية للطلبة الأجانب، بدلاً من أن تطلب منهم أن يتكيفوا مع أساليب تعليمية وثقافية واجتماعية لم يألفوها في بلادهم، حيث يعد ذلك من الأهمية بمكان لنجاح عملية التربية الدولية International Education^(١)

هذا ولم تقف المؤسسات التعليمية (في الدول المتقدمة) مكتوفة الأيدي أمام مشكلات سوء التكيف Maladjustment لدى الطلبة الأجانب فهناك العديد من وحدات الدعم الأكاديمي Academic Support Units تقوم بتنظيم دراسات خاصة ومقررات في اللغة، وتوفير مساعدات فردية Individual Assistance لهؤلاء الطلبة، ويتم توجيه الطلبة الأجانب الذين يواجهون صعوبات إلى مثل تلك الوحدات، كما تقوم تلك المؤسسات التعليمية بتوفير المساعدات لهؤلاء الطلبة من خلال أعضاء هيئة التدريس، أو عن طريق تعيين هيئة خاص لمعاونتهم Support Staff^(٢)

ويمكن القول بأن أهم طريقتين لتيسر عملية التكيف لدى هؤلاء الطلبة الأجانب ما يلي:

١- برامج التوجيه Orientation Programs

وهي عبارة عن لقاءات أو اجتماعات تهدف إلى إتاحة الفرصة للطلبة الأجانب الجدد لمقابلة بعضهم البعض ومقابلة أعضاء هيئة التدريس والهيئات المعاونة، وأيضاً تعريف الطلبة بطبيعة ونظام الدراسة^(٣) ومن ثم يمكن القول أن هذه البرامج تمثل عملية استقبال ودود وجيد لهؤلاء الطلبة في تلك المؤسسة التعليمية.

(1)S. E. Volet (1997) Ibid, p 32.

(2)Ibid, P 31

(3)Jagdish S. Gundara (2000) Interculturalism, Education And Inclusion, London, Paul Chapman Publishing Ltd, pp 90 – 91.

وهناك أنواع خمسة لتلك البرامج هي:

أ- التدريب على الوعي بالذات Self – Awareness Training، حيث يتم توجيه الطالب إلى التعرف على الأسس الثقافية Cultural Bosses لسلكياته.

ب- التدريب المعرفى Cognitive Training، حيث يقدم للطالب حقائق متنوعة عن الثقافات الأخرى.

ج- التدريب الإعزائى Attribution Training، حيث يتعلم الطالب تفسيرات السلوك من وجهة نظر الأفراد فى الثقافات الأخرى.

د- تعديل السلوك Behavior Modification، حيث يطلب من الأفراد تحليل خصائص ثقافتهم المختلفة فى ضوء الثقافات الأخرى.

هـ- التعلم من خلال الخبرات Experiential Learning، حيث يشارك الطالب بنشاط فى مواقف الحياة الحقيقية Realistic Simulations.

٢- التفاعل Interaction مع الآخرين.

ويقصد بذلك الاشتراك النشط للطالب فى المواقف المجتمعية والتعليمية مع الآخرين من الطلاب وأعضاء هيئة التدريس وأفراد المجتمع الخارجى، ففى دراستهم عن التفاعل بين أعضاء هيئة التدريس والطلبة وعلاقة ذلك بالنمو العقلى للطلاب (الذى لا يوجد إلا فى وجود حالة مرتفعة من التكيف) أشار فريدريك وآخرون J. Fredericks et al إلى أن التفاعل بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس يؤدى بالطلاب إلى تنمية مهاراتهم الأكاديمية، إضافة إلى رضاهم Satisfaction عن الخبرات الدراسية داخل المؤسسات التعليمية^(١)، ذلك إضافة إلى ما أشار إليه فوليت Volet (١٩٩٧) من ضرورة تفاعل الطلبة الأجانب مع أقرانهم من الطلبة المحليين وأفراد المجتمع لتنمية كفاءاتهم اللغوية والتي تعد من أهم الطرق للتوصل إلى عملية التكيف الاجتماعى والثقافى لدى الطلبة الأجانب^(٢).

٦- الأوضاع الاقتصادية.

الأوضاع الاقتصادية للطلبة الأجانب من الأمور الهامة، والتي قد تكون مصدراً للعديد من المشكلات التي تواجه هؤلاء الطلبة أثناء دراستهم، والمشكلات الناتجة عن الأوضاع

^(١)J. Fredericks Volkwein et al (1986) Student – Faculty Relationships and Intellectual Growth a Mange Transfer Students, Journal of Higher Education, Vol. 57, No. 4, pp. 413 – 430.

^(٢)S. E. Volet (1997) Loc Cit.

الاقتصادية للطلبة الأجانب لا تخصصهم وحدهم، بل تتعداهم إلى المؤسسة التعليمية التي يدرسون بها، وأيضاً إلى الدولة التي تنتمي إليها هذه المؤسسة، كما تتعلق هذه المشكلات بدرجة أكبر بالدولة المرسلة لهؤلاء الطلبة.

ف تكاليف الدراسة بالخارج من أكبر الأمور المثيرة للجدل، وتشكل واحدة من أكثر النواحي تعقيداً في أي مناظرة تتعلق بهؤلاء الطلبة، فهناك قلق متزايد يتعلق بتكاليف الدراسة في الخارج وجدواها لدى كل من الدول المضيفة والدول المرسلة على السواء، حيث يشير كثير من المحللين إلى أن الطلاب الأجانب يشكلون في حقيقة الأمر فائدة للدول المضيفة حتى ولو تم تقديم الدعم المالي لنفقاتهم الدراسية بشكل مباشر لأنهم يدخلون الأموال إلى الاقتصاد المحلي لهذه الدول، بينما يشير آخرون إلى أن الطلاب الأجانب يشكلون عبئاً مالياً ويجب اختصار أعدادهم من أجل توفير مخصصات مالية كبيرة^(١).

ويمكن أن تقسم نفقات الدراسة Study – Costs بالخارج إلى قسمين: نفقات مباشرة Direct Costs ، وتتمثل في المصروفات الدراسية Fees التي يدفعها الطالب أو جهة تمويله للمؤسسة التعليمية التي يدرس بها، ونفقات غير مباشرة Indirect Costs ، وتتمثل فيما ينفقه الطالب على الأمور المعيشية والدراسية، مثل المسكن والملبس والكتب الدراسية الخ^(٢).

وتعد النفقات غير المباشرة أو النفقات الخفية Hidden Cost من الأمور التي تقلق الطلبة ولذلك يجب إعلام الطلبة وتوجيه انتباههم لمثل تلك النفقات^(٣)، ولعل ذلك هو السبب في وجود مثل تلك المعلومات في الكتيبات التي ترسلها الجامعات الأجنبية لمن يرغبون في استكمال الدراسة بها .

وتجدر الإشارة إلى أن المصروفات التي يدفعها الطالب للمؤسسة التعليمية يمكن أن تكون مكافئة لما يقدم له من خدمات تعليمية، ويمكن إلا تكون، مما قد يسبب عبئاً مالياً على المؤسسة التعليمية من جراء قبول طلبة أجانب فيها^(٤).

(١) فيليب التباخ (١٩٨٨) معضلة الطلاب الأجانب في الجامعات، ترجمة عبد الحميد عز الدين، المجلة العربية لبحوث التعليم العالي، عدد ٧، ص ١٣٨ - ١٦٠.

(2) Brian A. A. Knight (1983) Managing School Finance, London, Heinemann Education Books, p. 5.

(3) See:

- Robert Harris (1995) Op Cit.

-(1997) Op. Cit.p,37.

(4) Hans N. Weiler, Loc Cit.

فى ظل ذلك لجأت العديد من الدول إلى تحديد العدد المسموح قبوله من الطلبة الأجانف فى مؤسساتها التعليمية، فقد قامت إنجلترا مثلاً برفع مصروفات التعليم العالى للطلبة الأجانف، بينما لجأت فرنسا إلى تحديد أعدادهم، مما أدى بالطلاب إلى الانصراف للولايات المتحدة الأمريكية بحثاً عن التعليم العالى، خصوصاً من المستعمرات الفرنسية والبريطانية^(١).

ولقد كان الطلبة الأجانف فى بريطانيا يعاملون على قدم المساواة مع الطلاب المحليين فيما يتعلق بالمصروفات الدراسية حتى عام (١٩٦٦)، حيث أعلنت الحكومة عن وجود فروق فى المصروفات من بداية العام التالى بين الطلبة الأجانف وأقرانهم المحليين، حيث بلغت مصروفات الأجانف (٢٥٠) جنيهها إسترلانيا، والمحليين (٧٠) جنيهها إسترلانيا، وظلت كذلك دون زيادة حتى جاءت حكومة العمال عام (١٩٧٤) وفرضت زيادة سنوية على مصروفات الطلبة الأجانف، وحتى أنه فى عام (١٩٧٨) أشارت مسؤولة التربية والعلوم فى الحكومة البريطانية إلى اتباع مبدأ روبين هود Robin Hood Principle والذى يعنى أن يتكفل الطلاب الأجانف (الأغنياء) بإعالة المحليين (الفقراء)، وظلت كذلك إلى أن جاءت حكومة السيدة تاتشر عام (١٩٨٠)، وفرضت ما سمي بنظام النفقات الكاملة Full-Cost على الطلبة الأجانف، وكانت المصروفات لهم ما يعادل (٢٠٠٠) دولار للأداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، وما يعادل (٣٠٠٠) دولاراً للعلوم البحتة والعملية^(٢)، ويتم تمويل الطلاب الأجانف عن أحد طريقتين: إما التمويل الخاص Private - Funded والذى يعنى أن يتولى الطالب أو عائلته الإنفاق على دراسته دون تدخل حكومى أو مؤسسى، وإما عن طريق المنح الدراسية Scholarships والذى يعنى أن تتولى حكومة أو مؤسسة معينة الإنفاق على الطالب.

والذى يعيننا فى ذلك كله هو أن هذه النفقات سواء كانت دراسية أو معيشية تزيد من الضغوط الملقاة على عاتق الطالب الوافد، إضافة إلى الضغوط الثقافية والاجتماعية واللغوية، مما قد يؤثر على سيره فى دراسته ويعوقه عن مواصلتها، إلا أن البعض يعتقد أن تلك الضغوط المالية Financial Stress الملقاة على الطالب الأجنبي قد تكون دافعاً قوياً له للاجتهد فى دراسته.

(١) Vinod B. Agarwal and Donald R. Winkler, Loc Cit.

(٢) Peter Williams (1984) Britain's Full - Cost Policy for overseas students, Comparative Education Review Vol. 28, No. 2, pp258-278.

ويؤكد ذلك ما توصل إليه فوليت وكى Volet And Kee (١٩٩٥) في دراستهما عن الطلبة السنغافوريين في مؤسسات التعليم العالي في استراليا، حيث أشارا إلى أن التضحيات المالية للأسرة Financial Sacrifices وتوقعات الأسر في حصول أبناءهم على قدر كبير من التعليم، إضافة إلى المتطلبات المجتمعية Societal Demands تلقي بضغوط كبيرة على هؤلاء الطلبة تجعلهم يجدوا في الدراسة للحصول على الشهادات التي تعوض التضحيات المالية للأسرة، حيث أشارت الدراسة إلى أن (٩٢%) من الطلاب السنغافوريين في أستراليا يعملون تحت هذه الضغوط في مقابل (٢٦%) فقط من الطلاب المحليين، فالطلبة الأجانب الذين يفشلوا في دراستهم عليهم العودة إلى أوطانهم ويعاملون في مستقبلهم على أنهم طلاب فاشلين، وعمل الطلبة الأجانب تحت مثل هذه الضغوط ينعكس على آراء أعضاء هيئة التدريس، حيث يشيرون إلى أن هؤلاء الطلاب لديهم دافعية للدراسة أكبر من أقرانهم المحليين^(١).

رابعاً : الأزهر والطلبة الوافدون:

يعد الأزهر الشريف من المؤسسات التعليمية التي فتحت أبوابها للطلبة المصريين والوافدين على حد سواء، وأولتهم كل رعاية واهتمام، الأمر الذي أدى إلى زيادة إقبال الوافدين - طلاباً وطالبات - على القدوم للدراسة بجامعة الأزهر، والجدول التالي يوضح التطور الكمي للطلبة الوافدين بجامعة الأزهر من العام الجامعي ١٩٨٦/٨٥ حتى العام الجامعي ٢٠٠٠/٩٩.

(١) S. E. Volet And J. P. P. Kee, Op Cit Pp. 2 – 3.

جدول رقم (٤)

يوضح التطور في أعداد الطلبة الوافدين بجامعة الأزهر من العام الجامعى (٨٦/٨٥) حتى (٢٠٠٠/٩٩)

معدل الزيادة السنوية	الإجمالى	القارات			السنة	
		الأمريكتين وأستراليا	أوروبا	آسيا		إفريقيا
-	٣١٨٦	٢	٦٧	١٨٥٧	١٢٦٠	٨٦/٨٥
%٢٦,٩	٤٠٤٤	٤	٨٧	٢٢٨٤	١٦٦٩	٨٧/٨٦
%٢٣	٤٩٧٤	٦	٨٢	٣٠٦٦	١٨٢٠	٨٨/٨٧
%١٦,٤	٥٧٨٩	٩	٩٨	٣٦٨٢	٢٠٠٠	٨٩/٨٨
%١٠,٥	٦٣٩٨	٤	٩٦	٤٢٤٥	٢٠٥٣	٩٠/٨٩
%١٢,٦	٧٢٠٤	٤	١١٤	٥٠١٤	٢٠٧٢	٩١/٩٠
%١٢,٦	٨١١٣	٥	١١٤	٦٠٣٠	١٩٦٤	٩٢/٩١
% ٣,٤-	٧٨٤٠	٨	١١٠	٥٩٧٠	١٧٥٢	٩٣/٩٢
%٧,٩	٨٤٥٨	٧	٨٦	٦٧٧٥	١٥٩٠	٩٤/٩٣
%١١,٤	٩٤٢٠	١٠	١١٤	٧٨٦٥	١٤٣١	٩٥/٩٤
%٣,٦	٩٧٦٣	٦	٧٥	٨٣٦١	١٣٢١	٩٦/٩٥
%٩,٤	١٠٦٧٩	٤	١١٣	٩٢١٣	١٣٤٩	٩٧/٩٦
% ١١,١	١١٨٧٠	٣	٢١٥	١٠١٤٦	١٥٠٦	٩٨/٩٧
% ١,٤	١٢٠٣٢	٢	٢٥٣	١٠٢٠٠	١٥٧٧	٩٩/٩٨
%١	١٢١٤٩	٢	٢٤١	١٠٣٢٨	١٥٧٨	٢٠٠٠/٩٩

المصادر:

- جامعة الأزهر - العلاقات العامة (١٩٩٦) جامعة الأزهر فى سطور، القاهرة، مطبعة جامعة الأزهر، ص ٦٤.
- جامعة الأزهر (١٩٩٧) التقرير السنوى عن شئون الجامعة العلمية والتعليمية والإدارية والمالية ومستويات العاملين للعام الجامعى ١٩٩٧/٩٦، القاهرة، مطبعة جامعة الأزهر.
- جامعة الأزهر (١٩٩٨) التقرير السنوى عن شئون الجامعة العلمية والتعليمية والإدارية والمالية ومستويات العاملين للعام الجامعى ١٩٩٨/٩٧، القاهرة، مطبعة جامعة الأزهر.
- جامعة الأزهر - الإدارة العامة لمركز المعلومات والتوثيق (١٩٩٩) النشرة الإحصائية السنوية للعام الجامعى ١٩٩٩/٩٨، القاهرة، مطبعة جامعة الأزهر.
- جامعة الأزهر - الإدارة العامة لمركز المعلومات والتوثيق (٢٠٠٠) النشرة الإحصائية السنوية للعام الجامعى ٢٠٠٠/٩٩، القاهرة، مطبعة جامعة الأزهر.

ويتضح من الجدول السابق أن ثمة زيادة مضطردة في أعداد الطلبة الوافدين بجامعة الأزهر، حيث زاد العدد إلى ما يقرب من أربعة أضعاف خلال السنوات الموضحة بالجدول، وتجدر الإشارة إلى أن عدد الطلبة الوافدين قد تراجع في العام الجامعي ١٩٩٣/٩٢، ولعل ذلك يرجع إلى بعض الأوضاع الاقتصادية والسياسية غير المستقرة لبعض البلاد الموفدة للطلاب.

يستمد الأزهر - كمؤسسة تعليمية إسلامية - سياساته من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، ولذلك فقد فتح أبوابه لطلبة العلم المسلمين من جميع أنحاء الأرض ومختلف الأمم والشعوب، وفيما يلي محاولة لإبراز دور الأزهر في تعليم الطلبة الوافدين ورعايتهم، وذلك من خلال إبراز الملامح العامة لسياسة تعليم الوافدين بجامعة الأزهر (موضع الدراسة)، ثم العرض لرعاية الطلبة الوافدين بالأزهر قديماً وحديثاً.

أ- الملامح العامة لسياسة تعليم الوافدين بجامعة الأزهر:

يمكن تحديد الملامح العامة لسياسة تعليم الوافدين بجامعة الأزهر من خلال معالجة النقاط التالية :

١- سياسة القبول:

لا تهدف جامعة الأزهر من جراء فتح أبوابها لجميع الطلبة الوافدين إلى تحصيل مكاسب اقتصادية كما تفعل غيرها من الجامعات العالمية " فتهدف معظم الجامعات الأجنبية من جراء فتح أبوابها للطلبة الأجانب إلى الحصول على مصادر تمويل إضافية إلى جانب ما تمدها به مؤسسات التمويل "Funding Councils"^(١) ذلك لأن جامعة الأزهر تستمد سياستها وأهدافها من تعاليم الإسلام الحنيف، حيث تعد من أهم - إن لم تكن أهم - الجامعات الإسلامية في العالم.

ولقد جاء التأكيد على دور الأزهر تجاه الإسلام ودعوته العالمية في القانون رقم (١٠٣) لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها حيث نص في مادته الثانية على عالمية الأزهر باعتباره الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى المسؤولة عن حفظ التراث الإسلامي ونشره بين المسلمين، كما أشار إلى دور الأزهر في تزويد العالم الإسلامي

(¹)See:

- Robert Harris (1995) Loc Cit.
- (1997) Op Cit., P. 34.

بالمختصين فيما يتصل بأمر الشريعة الإسلامية والثقافة الدينية^(١) كما نص في مادته الثالثة والثلاثين على أنه من اختصاصات جامعة الأزهر أن "تؤدي رسالة الإسلام إلى الناس ... وتعمل على تزويد العالم الإسلامي والوطن العربي بالعلماء والعاملين .. في داخل الجمهورية وخارجها من أبناء مصر وغيرهم"^(٢).

وانطلاقاً من تلك المبادئ التي صبغ بها الإسلام مؤسسات التعليم الإسلامية، فتح الأزهر أبوابه لجميع الطلبة المسلمين، وأكد قانون التطوير رقم (١٠٣) لسنة ١٩٦١ على ذلك، حيث نص في مادته الثامنة والثلاثين على أنه "تتساوى فرص القبول للتعليم بالمجان في كليات الجامعة ومعاهدها المختلفة للطلاب المسلمين من كل جنس ومن كل بلد في حدود الإمكانيات والميزانية والأعداد المقرر قبولها وفقاً لما تقضي بها اللائحة التنفيذية، ويكون قبول الطلاب الوافدين على غير منح من جمهورية مصر العربية بالمصروفات، وذلك في الكليات التي تحددها اللائحة التنفيذية، كما تبين اللائحة مقدار المصروفات والرسوم الإضافية ومواعيد أدائها"^(٣).

وعلى ذلك فلقد "كان الأزهر - ولا يزال - يقبل الطلبة دون أن يتقيد بالبلد الذي وفد منها لطالب، أو بالمذهب الديني الذي ينتمي إليه من المذاهب السنية الأربعة، مما أدى إلى زيادة عدد الدارسين بالأزهر"^(٤) ويكون الالتحاق بعد استيفاء شروطه التي تحددها الجامعة ويتم إعلان الطلبة بها من خلال كتيب مكتب التنسيق .

إلا أنه تم منع الطلبة الوافدين من القبول ببعض الكليات بقرار السيد رئيس الجمهورية رقم (٢٠٦٣) الصادر بتاريخ ١٩/٧/١٩٩٥ بشأن قواعد قبول الطلبة الوافدين بالجامعات والمعاهد المصرية، والتي ما زالت معمولاً بها حتى الآن، حيث نص هذا القرار في مادته الثانية على "عدم قبول الطلاب الوافدين بكليات: الطب، وطب الأسنان، والصيدلة، والهندسة، والتكنولوجيا، والفنون الجميلة قسم عمارة، والعلاج الطبيعي، والتخطيط العمراني، وتعتبر

(١) جمهورية مصر العربية - الأزهر الشريف، مرجع سابق، ص ٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١.

(٤) عبد العزيز محمد الشناوى (١٩٨٣) الأزهر جامعا وجامعة، الجزء الأول، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٢٤٣.

مغلقة بالنسبة لهم، وتبقي الحصة الخاصة بتلك الكليات كرسيد تحت تصرف السيد رئيس الجمهورية للحالات السياسية^(١).

وبالرغم من أن ذلك يتنافى مع قانون التطوير، إضافة إلى أنه يشير إلى تدخل السياسة في العلمية التعليمية، إلا أن ذلك لا يتنافى من حيث الواقع الفعلي مع فتح جامعة الأزهر لأبوابها لجميع الطلبة، حيث أن تلك الكليات المستثناة كليات عملية مستحدثة، بينما هدف معظم الطلبة الوافدين من الالتحاق بجامعة الأزهر تعلم الدين الإسلامي ولغته العربية، والذي فتحت أبواب الكليات المنوط بها ذلك أمام جميع الطلبة دون تفرقة .

٢- لغة الدراسة:

يعد تعلم الإسلام الهدف الأول لمعظم الطلبة الوافدين للأزهر الشريف، واللغة العربية هي لغة الإسلام، ومن ثم فهي لغة الدراسة والتعليم بالأزهر الشريف على مر العصور، إضافة إلى أن جامعة الأزهر بحكم موقعها في مصر وهي دولة عربية واللغة العربية هي اللغة الرسمية في الدولة. وتأكيد على هذا فلقد نص قانون تطوير الأزهر رقم (١٠٣) لسنة ١٩٦١ في مادته السابعة والثلاثين على أن "اللغة العربية هي لغة التعليم في جامعة الأزهر، ما لم يقرر مجلس الجامعة في أحوال خاصة استعمال لغة أخرى"^(٢)

ولما كان معظم الطلبة الوافدين بجامعة الأزهر من دول غير ناطقة باللغة العربية، حيث أن عدد الطلبة الوافدين من الدول العربية (١١٧٨) طالباً وطالبة في العام الجامعي ٢٠٠٠/٩٩ بنسبة (٩,٧%) من إجمالي عدد الطلبة الوافدين والبالغ (١٢١٤٩) طالباً وطالبة^(٣)، فلقد اتجهت جامعة الأزهر إلى مساعدة الطلبة الوافدين غير الناطقين باللغة العربية وذلك بإنشاء مركز جامعة الأزهر لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها والذي من أهدافه ما يلي^(٤):

(١) جمهورية مصر العربية - رئاسة الجمهورية - مكتب السيد الرئيس (١٩٩٥) قرار السيد رئيس الجمهورية رقم (٢٠٦٣) بشأن قواعد قبول الطلاب الوافدين بالجامعات والمعاهد المصرية للعام الجامعي (١٩٩٦/٩٥).

(٢) جمهورية مصر العربية - الأزهر الشريف ، مرجع سابق ص ٢١.

(٣) جامعة الأزهر - الإدارة العامة لمركز المعلومات والتوثيق (٢٠٠٠) مرجع سابق، ص ١٦٦.

(٤) جامعة الأزهر (١٩٩٨) مرجع سابق ص ص ٣٩٨-٣٩٩.

١- إعداد الطلبة الوافدين لغوياً وثقافياً ومساعدتهم على اكتساب المهارات اللغوية الأساسية للغة العربية، مما يمكنهم من التعامل معها واستخدامها استخداماً صحيحاً.

٢- الإسهام فى نشر الثقافة الإسلامية وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها لكل من يرغب فى تعلمها.

٣- إعداد معلمى اللغة العربية والعلوم الدينية لغوياً وتربوياً وعلمياً للتدريس للناطقين بغير اللغة العربية .

٤- وضع أسس علمية وثقافية لتأليف الكتب الدراسية والملائمة للناطقين بغير اللغة العربية.

٥- إجراء البحوث والدراسات اللغوية والتربوية الخاصة بتعليم اللغة العربية بغير الناطقين بها.

ومن ثم يعد مركز جامعة الأزهر لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من أهم مظاهر اهتمام الجامعة بالطلبة الوافدين ورعايتهم لهم، حيث يقدم هذا المركز برامج تعويضية Compensatory Programs لمساعدة هؤلاء الطلبة فى التغلب على المشكلات اللغوية التى تؤثر على سيرهم فى الدراسة كما تم توضيحه آنفاً فى هذا الفصل عند الحديث عن الصعوبات اللغوية للطلبة الأجانب

٣- المصروفات الدراسية:

يقصد بالمصروفات الدراسية، تلك الأموال التى تتقاضاها المؤسسة التعليمية نظير تقديم خدمات تعليمية للطلبة "فالطلبة الأجانب خاصة يدرون دخلاً مادياً للجامعات والمعاهد العليا من خلال المصروفات الدراسية Tuition التى يدفعونها، فقيد طلاب جدد يعنى مكاسب مادية إضافية من جراء ذلك القيد"^(١) أما جامعة الأزهر فتفتح أبوابها لجميع الطلبة المصريين، والوافدين المقيدى على منح من جمهورية مصر العربية دون أية مصروفات دراسية، حيث نص قانون التطوير فى مادته رقم (٣١٩) على أن "التعليم فى جامعة الأزهر بالمجان لجميع الطلاب أيا كانت جنسياتهم ومواطنهم فى حدود الإمكانيات والأعداد التى يقررها مجلس الجامعة، إلا أنه يجوز تحصيل رسوم عن الخدمات غير التعليمية ويصدر بتحديداتها وشروط

(١) Vinod B. Agarwl and Donald R. Winkler, Loc Cit.

الإعفاء منها قرار من شيخ الأزهر بناء على اقتراح مجلس الجامعة وموافقة المجلس الأعلى للأزهر^(١).

إلا أن القانون ذاته نص في مادته رقم ٣٢١ على أن " الطالب الوافد على غير منحة من جمهورية مصر العربية يؤدي رسوم القيد والمصروفات المقررة على أن تسدد بالجنية الإسترليني^(٢) ولقد تغيرت قيمة هذه المصروفات منذ صدور القانون، وكانت آخر قيمة لها ما ورد في قرار رئيس الجمهورية رقم (٢٩٧) لسنة ١٩٩١^(٣)، والذي ما زال معمولاً به حتى الآن بأن " الطالب الوافد على غير منحة من جمهورية مصر العربية يؤدي المصروفات الدراسية على النحو التالي :

١- الكليات النظرية والأقسام المناظرة لها بالكليات الأخرى فيما عدا الكليات الإسلامية والأقسام المناظرة :

- رسوم القيد لأول مرة ١٠٠٠ جنيه إسترليني

- المصروفات الدراسية ١٠٠٠ جنيه إسترليني

٢- الكليات العملية والأقسام المناظرة لها بالكليات الأخرى :

- رسوم القيد لأول مرة ١٥٠٠ جنيه إسترليني

- المصروفات الدراسية ١٥٠٠ جنيه إسترليني

ولا تتنافى تلك المادة من القانون وتعديلاتها مع سياسة جامعة الأزهر في التعليم المجاني لجميع الطلاب، وذلك حيث تم استثناء الكليات الإسلامية والأقسام المناظرة لها من دفع المصروفات، فالتعليم بالكليات الإسلامية والأقسام المناظرة لها بالمجان لجميع الطلاب، ومن المسلم به أن الغالبية العظمى من الطلبة الوافدين يأتون للأزهر للدراسة بالكليات الإسلامية وليس أدل على ذلك من أن عدد الطلبة الوافدين بالكليات الإسلامية بالعام الجامعي ٢٠٠٠/٩٩ حوالي (١١٢٥٢) من إجمالي الوافدين بنسبة (٩٥,٦%)^(٤) هذا علاوة على الأقسام

(١) جمهورية مصر العربية - الأزهر الشريف، مرجع سابق ص ١٦٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٦٢.

(٣) جامعة الأزهر - الإدارة العامة لشئون التعليم - إدارة الوافدين (١٩٩١) قرار رئيس جمهورية مصر العربية رقم (٢٩٧) لسنة ١٩٩١ بشأن تعديل بعض أحكام قرار رئيس الجمهورية رقم (٢٥٠) لسنة ١٩٧٥ باللائحة التنفيذية للقانون رقم (١٠٣) لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها، والخاص بفتة الرسوم والمصروفات على الطلاب الوافدين.

(٤) جامعة الأزهر - الإدارة العامة لمركز المعلومات والتوثيق (٢٠٠٠) مرجع سابق.

المنظرة للكليات الإسلامية بالكليات المستحدثة. وذلك إضافة إلى أن النسبة القليلة المتبقية منهم من هم مقيدون على منح من أقطارهم أو جهات أخرى غير جمهورية مصر العربية .

فجامعة الأزهر تفتح أبوابها بالمجان لتعليم الدين الإسلامي واللغة العربية لجميع الطلاب، وذلك لأنها جامعة صاحبة رسالة تجاه هذا الدين الحنيف. وذلك في حين أن بعض الدول بالرغم من غناها الشديد لا تفعل ذلك " ففي خريف ١٩٨٠ فرضت حكومة السيدة تاتشر Thatcher المحافظة في بريطانيا نفقات دراسية Tuition على الطلاب الأجانب على أساس نظام النفقة الكاملة Full- Cost - بمعنى أن يتحمل الطالب الأجنبي جميع نفقات دراسته - وأنهت الشريحة الضخمة من الدعم الحكومي للجامعات والمعاهد البريطانية، وإن كان قد تم إلغاء هذا النظام فيما بعد إلا أنه قد تم التأصيل له^(١).

٤ - المناهج الدراسية والامتحانات:-

أما فيما يتعلق بالمناهج الدراسية والامتحانات فتظهر عدم التفرقة بين الوافدين وأقرانهم المصريين، فكما أن فرص القبول متساوية، ولغة الدراسة واحدة، فلكل المناهج الواحدة لجميع الطلبة - مصريين ووافدين -، وذلك حتى يكون ما يتعلمه المصريين ويدعوا إليه هو نفس ما يتعلمه الوافد ويدعو إليه في بلده، محققا بذلك الهدف من قدومه بالدراسة بالأزهر الشريف من ناحية، ومحققا لهدف جامعة الأزهر من تعليم الوافدين من ناحية أخرى، إلا أن هناك بعض الجوانب التي تظهر فيها رعاية الأزهر للوافدين فيما يتعلق بالمناهج الدراسية والامتحانات.

فمادة اللغة الأجنبية كانت اختيارية للطلبة الوافدين، وذلك انطلاقا من أن هؤلاء الطلبة يعرفون لغة أجنبية بالفعل وهي لغة بلادهم. ولقد ألغى ذلك بقرار شيخ الأزهر رقم (٥٥٩) لسنة ١٩٩٢ والذي نص على أن "يؤدى جميع الطلبة الوافدين بكليات الجامعة امتحانا في مادة اللغة الأجنبية، ويعاملون من حيث نتيجة امتحانهم فيها - نجاحا ورسوبا - كمعاملة الطلاب المصريين سواء بسواء، ولا يعفى أى طالب من أداء الامتحان"^(٢) وذلك تحقيقا للمساواة الكاملة بين الطلبة، وأيضا لأن الطالب قد يتعلم لغة غير لغة بلده، مما يعنى أفاقا أوسع ومجالات أرحب لنشر الدين الإسلامى فى شتى أنحاء الأرض، وهو نفس الهدف من تدريس اللغة الأجنبية للطلبة بجامعة الأزهر.

(١) Peter Williams Loc.Cit.

(٢) الأزهر الشريف - مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر (١٩٩٢) قرار شيخ الأزهر رقم (٥٥٩) لسنة ١٩٩٢، بشأن تقرير دراسة مادة اللغة الأجنبية إجباريا على الطلاب الوافدين بالجامعة.

أما مادة القرآن الكريم، فنظراً لصعوبة حفظه وحاجته للمراجعة الدائمة، انطلاقاً من حديث النبي ﷺ حيث يقول "تعاهدوا هذا القرآن، فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصيلاً من الإبل في عقلها"^(١) متفق عليه، وقال عليه السلام "إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة، أن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت"^(٢) متفق عليه، فلقد راعت الجامعة أن اللغة العربية تعد أجنبية لهؤلاء الطلبة، فتجتمع صعوبة حفظ القرآن الكريم مع صعوبة اللغة العربية كلغة أجنبية على الطالب الوافد، ولذلك قامت الجامعة بتخفيض مقرر القرآن الكريم على الطلبة الوافدين، حتى لا يقف ذلك عائقاً أمام إتمامهم لدراساتهم بالأزهر.

فلقد نص قرار شيخ الأزهر رقم (٥١٧) لسنة ١٩٨٩م بأن تكون مادة القرآن الكريم مادة أساسية لجميع الطلاب المصريين والوافدين في الكليات الأصلية (أصول الدين والدعوة الإسلامية، والشريعة والقانون، والدراسات الإسلامية والعربية بنين وبنات) والشعب المناظرة لها بالكليات المستحدثة (الدراسات الإسلامية، واللغة العربية بكلية التربية) وما يستحدث من كليات أصلية وشعب مناظرة لها. وحدد القرار مقرر القرآن الكريم على الطلبة المصريين والوافدين كالتالي:

الفرقة الأولى: الربع الأول من القرآن الكريم من أول سورة البقرة .

الفرقة الثانية: نصف القرآن الكريم من أول سورة البقرة .

الفرقة الثالثة: ثلاثة أرباع القرآن الكريم من أول سورة البقرة .

الفرقة الرابعة: القرآن الكريم كاملاً.

بينما يكون من مقرر القرآن الكريم على الطلبة الوافدين غير الناطقين باللغة العربية بالكليات الأصلية والشعب المناظرة لها كالتالي:

- الفرقة الأولى : جزءان من القرآن الكريم من أول سورة البقرة .
- الفرقة الثانية : أربعة أجزاء من القرآن الكريم من أول سورة البقرة .
- الفرقة الثالثة : ستة أجزاء من القرآن الكريم من أول سورة البقرة .
- الفرقة الرابعة : ثمانية أجزاء من القرآن الكريم من أول سورة البقرة^(٣)

(١) أحمد بن حجر العسقلاني، مرجع سابق، مجلد ٩، ص ٩٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٥.

(٣) الأزهر الشريف - مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر (١٩٨٩) قرار شيخ الأزهر رقم (٥١٧) لسنة ١٩٨٩، بشأن مقر القرآن الكريم على طلبة الكليات الأصلية والشعب المناظرة لها بجامعة الأزهر.

- بينما حددت اللجنة العليا لشئون المواد الإسلامية في الكليات المستحدثة بالجامعة مقرر القرآن الكريم على الطلبة الوافدين (عرب وغير عرب) بالكليات المستحدثة وفقاً لما يلي :
- الفرقة الأولى أو الإعدادية بالكليات التي بها سنة إعدادية: خمسة أجزاء من القرآن الكريم، وهي من الجزء السادس والعشرين حتى الجزء الثلاثين .
 - الفرقة الثانية أو الأولى بالكليات التي بها سنة إعدادية : خمسة أجزاء من القرآن الكريم وهي من الجزء الحادي والعشرين حتى الجزء الخامس والعشرين
 - الفرقة الثالثة أو الثانية بالكليات التي بها سنة إعدادية : خمسة أجزاء من القرآن الكريم وهي من الجزء السادس عشر حتى الجزء العشرين .
 - الفرقة الرابعة أو الثالثة بالكليات التي بها سنة إعدادية : خمسة أجزاء من القرآن الكريم وهي من الجزء الحادي عشر حتى الجزء الخامس عشر^(١).

ولعل ذلك من الأمور المستغربة، حيث يتم التفريق في مقرر القرآن الكريم بين الطلبة الوافدين بالكليات الأصلية وأقرانهم بالكليات المستحدثة، وكان من الأولي أن يحدث العكس، أى يكون مقرر الطلبة الوافدين - خاصة غير العرب منهم - بالكليات المستحدثة أقل من أقرانهم بالكليات الأصلية، أو على الأقل التسوية بين جميع الطلبة الوافدين بكليات الجامعة فيما يتعلق بمقرر القرآن الكريم.

وتبعاً لذلك فالامتحانات بالجامعة موحدة لجميع الطلاب - مصريين ووافدين - عدا امتحانات مادة القرآن الكريم، وذلك تبعاً لاختلاف المقررات فيه بين الوافدين والمصريين.

رعاية الأزهر للوافدين قديماً وحديثاً:

يولى القائمون على الأزهر الشريف - منذ إنشائه حتى يومنا هذا - طلاب العلم فيه عناية ورعاية دون أدنى تفرقة بينهم سواء كانوا مصريين أم وافدين، وتلك سمة مؤسسات التعليم فى البلاد الإسلامية على مر العصور. وكانت لتلك الرعاية جوانب عدة ومجالات شتى، إلا أن المجال الذى تظهر فيه بوضوح، وفى نفس الوقت له علاقة وطيدة بالمجالات الأخرى، مجال الإسكان الطلابى ممثلاً فى نظام الأروقة قديماً وفى المدن الجامعية حديثاً "فمن أجل خدمات الأزهر الشريف منذ نشأته رعايته لطلاب العلم الوافدين للدراسة وفى مقدمتها

(١) جامعة الأزهر (١٩٩٥) المحضر الثالث لاجتماع اللجنة العليا لشئون المواد الإسلامية فى الكليات المستحدثة بالجامعة بشأن مقرر القرآن الكريم على طلبة الكليات المستحدثة بالجامعة والمصدق عليها من مجلس الجامعة بجلسته رقم (٣٦٣) لسنة ١٩٩٥.

تدبير أماكن إقامتهم وإعاشتهم. ومن ثم يعتبر الأزهر واضع اللبنة الأولى للإسكان الطلابي في العالم، حيث استمر طوال العصور المختلفة معهداً جليلاً يؤمه الطلاب من كل صوب - من مصر ومن سائر أنحاء العالم الإسلامي - فيجدون في رحابه كل أنواع الرعاية العلمية والاجتماعية^(١)

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن خدمات الإسكان الطلابي ممثلة في نظام الأروقة قديماً والمدن الجامعية حديثاً لم تكن تستأثر بها فئة من الطلاب دون أخرى. فكما كانت هناك أروقة للطلاب المصريين كانت هناك أيضاً أروقة للطلاب الوافدين من خارج مصر، وكما أن هناك مدن جامعية للطلبة المصريين فهناك أيضاً مدن جامعية للطلبة الوافدين، وذلك كله في رحاب جامعة الأزهر الشريف. والذي يعيننا في سياق هذه الدراسة تلك الخدمات التي تتعلق بالطلبة الوافدين. ويمكن عرض ذلك كما يلي:

أولاً: أروقة الأزهر.

من التقاليد الرسمية التي ظلت لصيفة بالتاريخ العلمي والاجتماعي للأزهر كجامعة أنه أفراد لكل طائفة من طلابه، وكان يطلق عليها المجاورون، رواقاً يقيمون فيه إقامة دائمة بالمجان طوال السنوات التي يقضيها كل منهم في تحصيل العلم في رحابه، ويوزع عليهم بدون مقابل نقدي، يوماً بعد يوم وفق نظام رتيب، الجراية، وهي عدد معين من أرغفة الخبز، كما يصرف لأعداد منهم مرتبات نقدية في أول كل شهر هجري، ويقدم لطلبة جميع الأروقة الأطعمة والحلوى والعطايا في المناسبات الدينية، كشهر رمضان المبارك، والعيد، والمولد النبوي الشريف^(٢) ومعنى ذلك أن الرعاية للطلاب ليست في توفير المسكن فقط بل والمأكل والمشرب والنفقة والملبس في بعض الأحيان، وذلك بهدف تذليل الصعوبات وحل المشكلات التي يمكن أن تواجه هؤلاء الطلاب أثناء دراستهم بالأزهر.

تعريف الرواق:-

رواق بكسر الراء وفتح الواو، تجمع على أروقة، وروق بضم الراء. وترد في صيغة الجمع في بعض المراجع التاريخية رواقات. والرواق لغة بيت يحمل على سطاع واحد (بكسر السين وفتح الطاء) في وسطه. ورواق البيت ما بين يديه، ورواق النهار من رواق نوره

(١) جامعة الأزهر - العلاقات العامة (١٩٩٦) جامعة الأزهر في سطور، القاهرة، مطبعة جامعة الأزهر، ص ١٠٥.

(٢) عبد العزيز محمد الشناوي، مرجع سابق ص ٢٤١.

وضيائه^(١) . والمعنى المعماري للرواق: هو مكان فى الجامع محصور بين صفيين من البوائك^(٢)

الفكرة العامة وراء إنشاء نظام الأروقة:

لما كان طلبة العلم فى الأزهر الشريف يتركون بلادهم وأهليهم طلباً للعلم، كانوا يعيشون غرباء بجوار الأزهر الشريف، ومن هنا نبعت فكرة استخدام الأروقة كمسكن لهؤلاء الطلاب فى محاولة لتذليل بعض العقبات والمشكلات التى تواجههم "فلقد كانت الفكرة العامة وراء إنشاء نظام الأروقة فى الأزهر تذليل العقبات المالية أمام الراغبين فى طلب العلم من ناحية، وعدم أشعار الدارسين أنهم يعيشون فى جو غريب عنهم، وهم يقضون سنوات طوالياً من أعمارهم فى تحصيل العلم فى الأزهر بعيدين عن أوطانهم وعن التقاليد والعادات التى ألفوها فى مطلع شبابهم من ناحية أخرى"^(٣) أى إنشاء الأروقة للتغلب على ما يمكن أن يطلق عليه المشكلات الاقتصادية والاجتماعية للطلاب سواء مصريين أم وافدين.

ولقد كانت الأروقة تقسم على أحد أساسين، إما على أساس الإقليم الجغرافى للطالب، وإما على أساس المذهب الذى يعتنقه الطالب، فلقد كان للطلبة الوافدين من كل قطر من أقطار العالم الإسلامى رواق خاص بهم، وكذلك طلبه كل إقليم من أقاليم مصر. وتعددت الأروقة تبعاً لتعدد الأقاليم التى يأتى منها الطلبة سواء من مصر أو من خارجها..... وكانت أروقه الوافدين أهم الأروقة وأكثرها عدداً وتنوعاً وأعداداً، وأوفرها ثراء، وذلك لأن هؤلاء الطلبة الذين يأتون من أقاليم خارج مصر أولى بالرعاية من الطلاب المصريين^(٤) وعلى ذلك فالأروقة نوعان: نوع للطلبة المصريين، وآخر للطلبة الوافدين، إلا أنه كان هناك نوع ثالث يقبل الطلبة دون قيداً أو شرط وهو رواق ابن معمر ويشبه إلى حد ما الرواق العباسى^(٥)

تنظيمات الأروقة:

لم تكن الأروقة تسير بطريقة عشوائية ولكن كان لها بعض التنظيمات الإدارية يعرض لها الباحث بإيجاز فيما يلى:-

(١) أنظر: - مجمع اللغة العربية (١٩٦٠) المعجم الوجيز، الجزء الأول، القاهرة، مطبعة مصر، ص ٣٨٤.

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مرجع سابق، ص ٥٦٢.

(٢) عبد العزيز محمد الشناوى، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤١.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٣.

(٥) المرجع السابق، الصفحة ذاتها.

(١) شيخ الرواق: فلقد كان لكل رواق من يقوم على إدارته وتنظيم شؤونه وكان يسمى شيخ الرواق. وفي الغالب كان الشيخ ينتمى إقليمياً للمجاورين (الطلبة) المقيمين فى الرواق.... وكان يفضل عند اختيار شيخ الرواق أن يكون مدرساً فى الأزهر. وكان لشيخ الرواق سلطات متعددة، فهو مسئول عن الطلبة المقيمين فى الرواق، وعن النظام والنظافة، وتوزيع الأغذية والعطايا عليهم، ويرعى مصالحهم، ويدافع عنهم إذا كان هناك موجب لهذا الدفاع، وكان بمثابة حلقة الوصل بين الطلبة وكبار المسئولين، كشيخ الجامع الأزهر أو ناظر الأزهر.... وكان شيخ الرواق يعين غالباً ناظراً على أوقاف رواقه. وبذلك تجتمع لشيخ الرواق الرياسات العلمية والإدارية^(١)

(٢) نقيب الرواق: كان الشيخ الرواق وكيل يطلق عليه النقيب، ومن مهامه حفظ سجلات الرواق، والتي تحتوى على أسماء وبيانات الطلبة المقيمين فيه.... وحضور توزيع الجراية (الخبز) والهبات والعطايا على طلبة الرواق، ويعد مسئولاً عن المكتبة القائمة فى الرواق على الرغم من وجود قيم لها. ويشرف على المطبخ وسائر مرافق الرواق^(٢).

(٣) تمويل الأروقة: كانت الأروقة مستقلة مالياً عن الحكومة فى مصر، شأنها شأن الجامع الأزهر نفسه فى ذلك. وكان سبب هذا الاستقلال إيرادات الأوقاف التى حبسها الخيرون على الأزهر فى مختلف العصور. وكانت هذه الأوقاف تدر الخير على علمائه وطلبته وجعلتهم فى غير حاجة إلى عون مالى تقدمه لهم الحكومة. فكانت الأروقة تعتمد على تقديم الجراية والمرتببات النقدية والشهرية وفى مواجهة النفقات الإدارية وغيرها على حصيلة الأحباس التى رصدها أهل البذل عليها، كما كانت تعتمد على الأوقاف العامة المحبوسة على الأزهر..... ولذلك كانت الأروقة لا تخضع إلا للشروط التى وضعها الواقفون لصرف حصيلة الأوقاف، كأن لا تقبل إلا طلبة إقليم معين أو مذهب دينى معين^(٣).

(٤) مكاتب الأروقة: إمعاناً فى الرعاية والعناية لطلبة العلم المقيمين فى أروقة الأزهر، فقد وفر القائمون على أمر الأزهر مكاتب للأروقة "وقد كان من تمام التيسير على طلبة العلم أن يكون للرواق مكتبة خاصة به، غالباً تبتدى بقليل من الكتب يقفها أهل البر، ثم تتكاثر.... وكان الانتفاع بها متروكاً لمن ينشده من أهل الرواق وغيرهم^(٤)" وكان يطلق على

(١) عبد العزيز محمد الشناوى، مرجع سابق، ص ٢٤٤.

(٢) المرجع السابق بتصريف، ص ص ٢٤٧ - ٢٤٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٥٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٦.

كل من المكتبات ككتبخانة، ويشرف عليها أمين مكتبة يسمى قيما ويعد مرؤوساً لنقيب الرواق. وكانت الإعارة الخارجية مسموحاً بها لطلبة جميع الأروقة بشرط واحد لم يتغير - وكان منصوصاً عليه في كل رواق تقريباً. وهو عدم السماح بالإعارة الخارجية إلا بعد أن يستوفى طلبة الرواق حاجتهم من استعارة الكتب التي يحتاجون إليها^(١)

بعد ذلك العرض الموجز لتنظيمات الأروقة تجدر الإشارة إلى أن خدمات الأروقة لم تكن مقصورة على الطلبة المقيمين فيها فقط بل كانت تتعداهم إلى من تنطبق عليهم شروط الإقامة في الرواق وازدحامه بالطلبة فكان هؤلاء الطلبة يأخذون جرایة مثل المقيمين في الرواق وينتفعون بالمكتبة، كما وجد ما كان يسمى بنظام "الطلبة المنتظرين" وهم الذين لم يجدوا أماكن في الأروقة فينتظرون إلى أن تشغر الأماكن بغياب أصحابها أو تخرجهم أو وفاتهم^(٢).

ويدل مصطلح الطلبة المنتظرين قديماً على كثرة أعداد الطلبة الراغبين في الدراسة بالأزهر، كما يدل أيضاً على وجود مشكلات في استيعاب جميع الطلبة في الأروقة. وتجدر الإشارة إلى أن ضعف استيعاب الطلبة الوافدين بالمدينة الجامعية الخاصة بالبعوث الإسلامية يضطر الطلبة إلى البحث عن مسكن خارجي وذلك في ظل الارتفاع الموحش في الأسعار إضافة إلى أن أصحاب المساكن المصريين ينظرون لهؤلاء الطلبة على أنهم أجنب أي أنهم أغنياء فترتفع الأسعار مما يسبب عجز الطلبة الوافدين في الحصول على مساكن مناسبة. وذلك من الأمور التي تسبب مشكلات مالية قد يترتب عليها العديد من المشكلات الاجتماعية والنفسية وبالتالي يؤثر على سير هؤلاء الطلبة في دراستهم.

حياة الطلبة الوافدين في الأروقة:-

كان معظم الطلبة الوافدين يعيشون في أروقة الأزهر، وكانوا أنعم عيشاً من أقرانهم المصريين، وأنظف منهم ثياباً وأبداناً، وأكثر منهم ثراءً، وذلك بسبب ما كان يصرف لهم من رواتب كافية شهرية سواء من الأروقة أو من حصيلة الأوقاف التي حبسها عليهم تجار من بلادهم يمارسون أنشطة تجاربه في مصر، كما كانوا يجلبون معهم نقوداً. مما كفل لهم المعيشة في مستوى مرتفع في الأروقة. وكانت أروقة الوافدين تمتاز بالنظافة والفرش الكافي.

(١) الأزهر الشريف - اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفي للأزهر، (١٩٨٣)، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

(٢) عبد العزيز محمد الشناوي، مرجع سابق، ص ٢٥٠.

وكانوا في حياتهم العملية والخارجية يترفعون الصغائر ويحافظون على كرامتهم وترتبطهم
بزملائهم المصريين أوامر المودة.^(١)

كما كان من عادة طلبة بعض أروقة الوافدين أنه إذا اعتزم أحد الطلبة العودة إلى
بلاده بعد انتهاء دراسته أن يقيم حفل وداع في الرواق يدعى إليه أصدقائه من الطلبة، كما
كانت الدعوة توجه إلى بعض علماء الأزهر وشيوخ الأروقة^(٢) وهذا الإجراء مازال متبعاً في
مدينة البعوث الإسلامية، والتي تعد بمثابة امتداد للأروقة، حيث تقيم المدينة كل عام حفلاً
للخريجين. وفيما يلي سوف يعرض الباحث بإيجاز للأروقة الخاصة بالطلبة الوافدين.
أروقة الطلبة الوافدين^(٣) :-

١- رواق الشوام: أنشأه السلطان الأشرف قايتباي، وزاد فيه الأمير عثمان كتحداً، ثم الأمير
عبد الرحمن كتحداً. وخصص للطلبة الوافدين من بلاد الشام وكان به مكتبة يشرف عليها
قيّم، وبلغ عدد محتوياتها (٢١٠٠) مجلداً. وكان رواق الشوام أكبر أروقة الأزهر وأكثرها
ازدحاماً بالطلبة، وكانت تصرف لهم مرتبات نقدية في أول كل شهر هجري^(٤)

٢- رواق المغاربة: وخصص هذا الرواق للطلبة القادمين من برقة وطرابلس وتونس
والجزائر ومراكش (بلاد المغرب). وكان به مكتبة كبيرة تسمح بالاستعارة لجميع طلبة
الأزهر، وكانت تضم عدداً كبيراً للغاية من نفائس المخطوطات، وبلغ عدد محتوياتها
(٣٣٨٦) مجلداً. وفي تلك المكتبة كان يبحث ويراجع العلامة الفيلسوف ابن خلدون^(٥)

(١) عبد العزيز محمد الشناوى، مرجع سابق، ص ٢٤٦.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٢٩٦، ٢٩٧.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر:

- سعيد إسماعيل على (١٩٨٦) معاهد التربية الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربى، ص ص ٢٦٥ - ٢٦٧.

- الأزهر الشريف - اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر، مرجع سابق، ص ص ٢٥٠ - ٢٥١.

- سعاد ماهر محمد (١٩٧١) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، الجزء الأول، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص ص ١٧٦، ١٧٧، ٢١٥ - ٢٢٠.

- سنية قراعة (١٩٦٨) تاريخ الأزهر في ألف عام، القاهرة، مكتب الصحافة الدولية للصحافة والنشر، ص ص ٣١٢ - ٣١٤.

(٤) عبد العزيز محمد الشناوى، مرجع سابق، ص ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٦١.

٣- رواق الأتراك: أنشأه السلطان الأشرف قايتباي ، وجدده الأمير عثمان كتحدا وكان هذا الرواق مخصصاً للطلبة الوافدين من تركيا ويوغوسلافيا وألبانيا وتركستان والاتحاد السوفيتي (سابقاً)، وكان فيه خزانه كتب كبيرة تضم عدداً وافراً من أمهات المصادر والمراجع بلغ (٥٠٥١) مجلداً، وكانت النظافة هي السمة الأولى لهذا الرواق.^(١)

٤- رواق الحرمين: وكان يسمى أيضاً برواق "المكاويين" نسبة إلى مكة المكرمة، ولعل ذلك بقصد التشريف والتمجيد لأن هذا الرواق كان يستقبل بالإضافة إلى الوافدين من مكة المكرمة، الوافدين من سائر مدن الحجاز مثل المدينة الطائف وجدة وينبع وغيرها. ويلاحظ أن عدد المجاورين (الطلبة) كان قليلاً بذلك الرواق، ولعل ذلك يرجع إلى أن معظم أهل الحجاز يفضلون المجاورة بأحد الحرمين الشريفين بمكة المكرمة أو المدينة المنورة.^(٢)

٥- رواق اليمنية: وكان هذا الرواق مخصصاً للطلبة القادمين من بلاد اليمن، وكان به مكتبه تضم (١٤٥) مجلداً.^(٣)

٦- رواق البرنية: ويسمى أيضاً برواق البرناوية أو البرنو، وكان مخصصاً للطلبة الوافدين من السنغال، والنيجر، وغينيا، وساحل الذهب، وغانا. وهذا الرواق ذو مساحة صغيرة، ويبدو كأنه جزء من رواق الأتراك.^(٤)

٧- رواق الجبرتية: وينسب هذا الرواق إلى بلدة "جبرت"، وهي ثغر يقع على الساحل الأفريقي لخليج عدن، وهي مسقط رأس الجد السابع للمؤرخ الشهير الشيخ عبد الرحمن حسن الجبرتي. وكان هذا الرواق مخصصاً للوافدين من الحبشة وإريتريا والصومال، وتضم مكتبته (١٥٦) مجلداً.^(٥)

٨- رواق البرابرة: وكان هذا الرواق مخصصاً للطلبة الوافدين من موريتانيا وما جاورها من أقاليم، وتضم مكتبته (١٧) مجلداً.^(٦)

(١) عبد العزيز محمد الشناوي، مرجع سابق، ص ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٢) المرجع سابق، ص ٢٦٣.

(٣) المرجع سابق، ص ٢٦٤.

(٤) المرجع سابق، ص ٢٦٤.

(٥) المرجع السابق، ص ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٦٥.

٩- رواق السليمانية: وكان يسمى رواق الأفغان لأنه كان مخصصاً لاستقبال الطلبة الوافدين من أفغانستان، وكان عدد الطلبة به قليل نسبياً، وكان عدد محتويات مكتبته (٣٥٤) مجلداً.^(١)

١٠- رواق الجاوة: وكان مخصصاً للطلبة الوافدين من إندونيسيا والفلبين وماليزيا، وغيرهم من أهل الهند الشرقية، وهو ذو مساحة صغيرة، وكان عدد الطلبة به قليلاً، وبلغ عدد الكتب في مكتبته (٤٦) مجلداً.^(٢)

١١- رواق الدكارنة: وكان يطلق عليه أيضاً رواق الدكارنة الغورية، وكان مخصصاً لإقامة الطلبة الوافدين من بلاد تكرو وسنار ودارفور، وكان عدد المجاورين به قليلاً، وكان عدد الكتب في مكتبته (٢١) مجلداً، وكان الطلبة فيه يتقاضون رواتب نقدية في أول كل شهر هجري.^(٣)

١٢- رواق دكارنة صليح: أفرد هذا الرواق لإقامة الطلبة الوافدين من إقليم تشاد في وسط أفريقية، وعدد كتب مكتبته (٥) مجلدات فقط.^(٤)

١٣- رواق الأكراد: كان هذا الرواق مخصصاً للطلبة الأكراد السنيين الوافدين من شمالي العراق وبلاد الشام والأناضول وغيرها، وكانت مكتبته تضم (١١٩٧) مجلداً.^(٥)

١٤- رواق البغدادية: كان يطلق عليه أحياناً رواق البغادة، وكان مخصصاً للطلاب الوافدين من العراق والبحرين والكويت، وكانت مكتبته تحتوى على (٣٦) مجلداً، وكان عدد الطلبة به قليلاً، ولعل ذلك يرجع إلى قربهم من الحرمين واتجاههم للمجاورة فيهما.^(٦)

١٥- رواق الهنود: كان هذا الرواق مخصصاً لإقامة الطلبة الهنود، وكان به جزء مخصص للطلبة المصريين، ومع ذلك فقد كان عدد طلبته قليلاً.^(٧)

١٦- رواق السنارية: أنشأه محمد على باشا استجابة لالتماس الشيخ محمد وداعة السنارى، وكان مخصصاً لاستقبال الطلبة الوافدين من إقليم سنار في السودان.^(٨)

(١) عبد العزيز محمد الشناوى، مرجع سابق، ص ٢٦٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٦٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٦٦.

(٥) المرجع السابق، ص ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٦٧.

(٧) المرجع السابق، ص ٢٦٧.

إلى جانب هذه الأروقة أنشئت فى القرن التاسع عشر بعض الأروقة الصغيرة مثل رواق الصين ورواق جنوبى أفريقية.^(٢)

وكما اهتم المسئولون بالأزهر وأنظمة حياة مجاوريه، كذلك اهتموا بأرزاقهم وعملوا على مساعدتهم بما يعينهم على العيش ... فأوقفوا عليهم أوقافاً وأحباساً، وقرروا لهم أرزاقاً كانوا ينالونها على مدار السنة، وكانت مرتبة على ثلاث درجات^(٣):

١- الأطفعة والملابس التى تصرف لجميع الطلبة أو بعضهم.

٢- الجراية وأقلها رغيف وأكثرها ستة أرغفة.

٣- ريع الأوقاف المحبوسة على مجاورى أروقة خاصة، وكان أقل ما يناله المجاور منها قرشين، وأكثرها مائة قرش فى الشهر.

مما سبق يمكن إبراز بعض الملاحظات على نظام الأروقة فى الجامع الأزهر الشريف كما يلى:-

١- تعبر أسماء بعض الأروقة عن جنسية وبلد الطلبة القاطنين به، فرواق الشوام لطلبة بلاد الشام ورواق المغاربة لطلبة بلاد المغرب وهكذا.

٢- فى محاولة لرفع العبء المادى للطلبة المقيمين فى الأروقة كانت تصرف لهم رواتب شهرية فى بعض الأروقة، وكان ذلك يعتمد فى المقام الأول على قدر الأوقاف المحبوسة على الرواق وطلبته.

٣- لم تكن الأروقة عشوائية بل وضعت لها التنظيمات والقواعد وعين لها شيخ ونقيب وقيم وأحياناً جاب للإشراف على تحصيل إيرادات الأوقاف، وكل ذلك حتى تتحقق الاستفادة القصوى من الأروقة.

٤- بدأ الاهتمام بالناحية العلمية لطلبة الأروقة من خلال توفير المكتبات التى تحوى أمهات الكتب والمراجع.

٥- كان عدد الطلبة فى الأروقة المخصصة للبلاد البعيدة قليلاً، بينما كان العكس فى الأروقة المخصصة للبلاد القريبة.

(١) عبد العزيز محمد الشناوى، مرجع سابق، ص ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٣) سنية قراة، مرجع سابق ص ص ٣١٣ - ٣١٤.

٦- وجود نظام الجراية للمساهمة فى التغلب على الأعباء المعيشية والاقتصادية لهؤلاء الطلبة.

وذلك يعد دليلاً واضحاً على اهتمام الأزهر بالطلبة الوافدين ومحاولة التغلب على المشكلات والعقبات التى تواجههم أياً كان نوعها.

ثانياً: مدينة البعوث الإسلامية:-

لما تقدم العهد وأصبحت أروقة الأزهر لا تتناسب مع عدد الطلاب الدارسين به - مصريين ووافدين - من ناحية، ومع متطلبات وظروف العصر الحديث من ناحية أخرى، لجأ القائمون على أمر الأزهر إلى إنشاء المدن الجامعية. وعلى أثر ذلك تم إنشاء أكثر من مدينة جامعية للطلبة المصريين وذلك ليس مجال الدراسة الحالية. أما الوافدون فأقيمت لهم مدينة جامعية حديثة تتناسب مع أعدادهم وتتوافر فيها المتطلبات المعيشية والصحية وغير ذلك، وأطلق عليها مدينة البعوث الإسلامية. وكما كانت الأروقة - وخاصة أروقة الطلبة الوافدين الموجودة داخل الأزهر والمنتشرة حوله - شاهد عيان على عالمية الأزهر وجهوده تجاه العالم الإسلامى، كانت مدينة البعوث الإسلامية التابعة للأزهر شاهد عيان على ذلك أيضاً، بل دليلاً واضحاً على تطور اهتمام الأزهر - جامعاً وجامعة - بطلابه.

عندما جاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ اهتمت بالأزهر وأولته ما هو جدير به من العناية ومنحته من التقدير والتشجيع ما أضاف على رسالته قوة وجلالاً. وكان من أهم ما اتجهت الثورة إليه رعاية هؤلاء الطلبة الوافدين الذين يأتون من شتى بقاع العالم لتلقى العلم فى رحاب الأزهر، وكانوا يقيمون فى الأروقة حيناً، وفى المنازل المؤجرة أو المساجد أحياناً، مما كان له أثره السيئ فى حياتهم العلمية، وكاد يصرفهم عن الانتظام فى الدراسة. دفع كل ذلك المسئولين إلى التفكير فى إنشاء مدينة تجمع شمل هؤلاء الطلبة وترعى شئونهم. وأخذت الفكرة طريقها إلى التنفيذ بصدور قرار جمهورى يتضمن إنشاء مدينة سكنية للطلاب الوافدين لتلقى العلم بالأزهر تسمى مدينة البعوث الإسلامية.^(١)

ويلاحظ أن إنشاء مدينة البعوث الإسلامية كان يهدف إلى إظهار رعاية رجال الثورة بالأزهر الشريف، كما كان يهدف أيضاً إلى التغلب على المشكلات التى كانت تواجه هؤلاء الطلبة فى ذلك الوقت، حيث أصبحت الأروقة التى كان يقيم فيها هؤلاء الطلاب غير صالحه

(١) الأزهر الشريف - اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر، مرجع سابق، ص ٣٣٣.

لإقامتهم فيها.^(١) فكانت تلك المدينة - كما كانت الأروقة من قبل - استجابة لآمال وآلام هؤلاء الطلبة، حيث عملت على تذليل العديد من مشكلاتهم.

وقد أقيمت المدينة على قطعة أرض قريبة نسبياً من الجامع الأزهر تبلغ مساحتها ثلاثين فداناً، أقيمت المباني على عشرين منها والباقي حدائق ومنتزهات وشوارع بين مباني المدينة. وقد تكلف إنشاؤها حوالي المليونين من الجنيهات، وبدئ في بنائها عام ١٩٥٤، وتم افتتاحها في ١٥ سبتمبر عام ١٩٥٩. وتتسع المدينة لأكثر من خمسة آلاف طالب وتضم (٤١) عمارة سكنية، يتكون كل منها من ثلاثة طوابق، وكل دور من جناحين تفصل بينهما حجرة متسعة أعدت للمذاكرة، وتضم المدينة مكتبة تذخر بأهم الكتب والمراجع، وقد أقيم بالمدينة مسجد متسع على طراز عربي جميل أصيل.^(٢)

• أهداف مدينة البعوث الإسلامية:-

وتهدف مدينة البعوث الإسلامية إلى ما يلي:-

- توثيق الصلة وإذابة الفوارق بين أبناء الشعوب الإسلامية، فهي تجمع بينهم في ظل وحدة العقيدة وأخوة الدين، وإن اختلفت الألسنة وتباعدت الديار.
- مقاومة التمييز العنصرى الذى جعل من البشر سادة وعبداً، فالناس جميعاً فى نظر الإسلام سواء، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.
- توفير أسباب الراحة للطالب الوافد حتى يتفرغ لدراسته.
- تهيئة الاستقرار النفسى والرعاية الصحية للطالب الوافد فى إطار من الرعاية الثقافية والاجتماعية والرياضية لاستقامة السلوك.
- تسليح هؤلاء الطلاب بمختلف فروع العلوم الدينية ليعودوا إلى بلادهم دعاة للإسلام.^(٣)

(١) الأزهر الشريف (١٩٦٤) الأزهر فى ١٢ عاماً، إعداد لجنة مشكلة بالقرار الوزارى رقم ٢ لسنة ١٩٦٤ برئاسة الشيخ محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر، ص ٢١٢.

(٢) انظر:-

- الأزهر الشريف - اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر، مرجع سابق، ص ٣٣٣ - ٣٣٤.
- الأزهر الشريف، الأزهر فى ١٢ عاماً، مرجع سابق، ص ٢١٢ - ٢١٣.
- الأزهر الشريف (١٩٩٨) مدينة البعوث الإسلامية فى أربعين عاماً من ١٣٧٩هـ / ١٩٥٨م حتى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، القاهرة، مطبعة المصحف الشريف، ص ٤-٦.

(٣) انظر:-

- الأزهر الشريف، مدينة البعوث الإسلامية فى أربعين عاماً، مرجع سابق، ص ٥.
- الأزهر الشريف، مدينة البعوث الإسلامية (١٩٩٩) دليل الخريجين للدفعة رقم (٤٠) لعام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص ٤.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن هناك جزء منفصل من المدينة تم تخصيصه للطالبات الوافدات، كما يوجد فرع للمدينة لها بمدينة الإسكندرية يقيم فيه الطلاب الوافدون المقيدون بفرع الجامعة بالإسكندرية.

مرافق وخدمات المدينة:-

١- المكتبة: كما كانت الأروقة مزودة بمكتبات لمساعدة الطلاب وتهيئة الفرص لهم للإطلاع، تم أيضاً إنشاء مكتبة كبيرة بمدينة البحوث الإسلامية. "وهي حافلة بشتى الكتب من جميع الفنون والعلوم - قديمها وحديثها - ولم تترك فناً إلا وأخذت منه بنصيب وافر، ويتردد عليها الطلاب في أوقات مختلفة ليلاً ونهاراً" (١)

٢- الاستاد الرياضي: ويطلق عليه استاد مدينة البحوث الإسلامية، وتم إنشاؤه "اقتناعاً بمبدأ العقل السليم في الجسم السليم، وتمارس فيه العديد من الأنشطة مثل كرة القدم، وكرة السلة، والعباب القوى وغير ذلك. إلا أن هذا الاستاد تكتفه بعض الصعاب مثل عدم توفير المياه، إضافة إلى أنه تم اقتطاع جزء من أرضه لإقامة معهد البحوث الإسلامية" (٢). ويعد إنشاء ذلك الاستاد بادرة خير، حيث توجد أنشطة بالفعل ولكنها تحتاج إلى العناية والرعاية .

٣- الرعاية الصحية : كفلت المدينة الرعاية الصحية والعلاج للطلبة الوافدين حيث "أقيم بالمدينة مستشفى خاص، به قسم داخلي للعلاج بالإضافة إلى معمل للتحاليل الطبية المختلفة ، وكذا إجراء العمليات الجراحية إذا ما تطلبت الحالة المرضية مثل هذه الإجراءات (٣)، كما قامت المدينة بتخصيص مكان في أحد أندية كعبادة طيبة تشتمل على تخصصات مختلفة كما، يقوم الطلاب بصرف العلاج من إحدى الصيدليات بالمجان، ثم تقوم المدينة بسداد الفواتير نيابة عن الطلاب بعد ذلك من البند المخصص (٤) .

٤- المعسكرات الترفيهية والثقافية : لم تهمل المدينة الناحية الترفيهية لأبنائها الوافدين، خاصة وأن الغالبية العظمى من الطلاب لا يسافرون إلى بلادهم خلال العطلة الصيفية، مما يؤدي إلى زيادة وقت الفراغ لديهم، ولذلك قامت المدينة بإنشاء معسكر

(١) انظر:-

- الأزهر الشريف، اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفي للأزهر، مرجع سابق، ص ٣٣٤.

- الأزهر الشريف، الأزهر في ١٢ عاماً، مرجع سابق ص ٢١٣.

(٢) الأزهر الشريف، اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفي للأزهر ، مرجع سابق، ص ٣٣٤.

(٣) الأزهر الشريف، الأزهر في ١٢ عام ، مرجع سابق، ص ٢١٣.

(٤) الأزهر الشريف، مدينة البحوث الإسلامية في ٤٠ عاماً ، مرجع سابق، ص ١٠ ، ١١ .

بمدينة الإسكندرية بمنطقة العصافرة، مكون من ثلاثة أدوار ومزود بعدد من الملاعب يصلح كمعسكر صيفي لطلاب البعوث الإسلامية، وبالفعل تنظم المدينة خلال أشهر الصيف معسكراً لأبنائها الطلاب بذلك الفرع، ويعد هذا المعسكر نموذجاً طيباً يمارس فيه الطلاب ألواناً متعددة من الأنشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية لامتناس طاقاتهم وشغل وقت فراغهم أثناء الإجازة^(١).

٥- الجمعية الاستهلاكية: فى خطوة تتم عن إحساس المسؤولين عن مدينة البعوث الإسلامية باحتياجات طلبة المدينة تم تخصيص أحد أندية العمارات السكنية المواجهة لشارع البعوث الإسلامية مباشرة كجمعية استهلاكية تتبع وزارة التموين تباع منتجاتها حتى ينتفع بها أبناء الحى إلى جانب طلبة المدينة^(٢).

ومن ثم فمدينة البعوث الإسلامية نفسها كانت محاولة جادة من جانب جمهورية مصر العربية لتذليل العقبات وحل المشكلات التى تواجه الطلبة الوافدين إلى الأزهر الشريف. وتأتى مرافق وخدمات المدينة المختلفة كمحاولة للتغلب على الصعوبات والمشكلات التى تواجه الطلبة الوافدين المقيمين بها".

(١) الأزهر الشريف، مدينة البعوث الإسلامية فى ٤٠ عاماً، المرجع سابق، ص ٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٦.

خامساً: المشكلات التي يمكن أن تواجه الطلبة الوافدين:-

يُواجه الطلبة الجامعيون - بصفة عامة - بالعديد من المشكلات في المجالات التعليمية والاجتماعية والاقتصادية كما أشارت بذلك العديد من الدراسات^(١)، وتتباين هذه المشكلات لدى الطلبة الوافدين مع مثيلاتها لدى أقرانهم المحليين^(٢) وذلك لأن هؤلاء الطلبة الوافدين يمثلون مجموعة مترابطة Complex Array من الخبرات الشخصية Personal Experiences، والقيم Values، والأهداف Intentions^(٣)، والتي تعد بمثابة المكون الرئيسي لخلفياتهم الثقافية. وفيما يلي عرض لأهم المشكلات التعليمية والاجتماعية والاقتصادية التي يمكن أن تواجه الطلبة الوافدين أثناء دراستهم في مؤسسات التعليم بالمجتمعات المضيفة، وذلك في ضوء ما سبق عرضه من أوضاع تتعلق بالطلبة الوافدين.

أولاً: المشكلات التعليمية Educational Problems

تهدف عملية الدراسة خارج الوطن إلى تحقيق أهداف تعليمية في المقام الأول، سواء كانت هذه الأهداف خاصة بالطالب، أو عائلته، أو الجهة الموفدة له - حكومية أو غير حكومية، ومن ثم تحتل النواحي التعليمية المتعلقة بالطلبة الوافدين جل الاهتمام، سواء من قبل

(١) انظر:-

- عبد اللطيف حسين فرج (١٩٨٧) دراسة ميدانية لبعض مشكلات الطلاب بفرع جامعة الملك سعود بأبها، مجلة كلية التربية بالمنصورة، جامعة المنصورة، عدد ٩، جزء ١، ص ص ٧٥ - ٩٢.
- نبيل عبد الحليم (١٩٩١) مرجع سابق.
- يوسف سيد محمود (١٩٩٣ أ) مشكلات طلاب الجامعة في مصر وأساليبهم في مواجهتها-دراسة استطلاعية لطلاب فرع جامعة القاهرة بالفيوم، الجزء الأول، مجلة دراسات تربوية، مجلد ٨، جزء ٤٩، ص ص ٢١٥ - ٢٥٠.
- (١٩٩٣ ب) مشكلات طلاب الجامعة في مصر وأساليبهم في مواجهتها - دراسة استطلاعية لطلاب فرع جامعة القاهرة بالفيوم، الجزء الثاني، مجلة دراسات تربوية، مجلد ٨، جزء ٥٠، ص ص ١٧٨ - ٢٢٠.
- صلاح الدين محمد أبو ناهيه (١٩٩٤) مشكلات طلبة جامعة الأزهر بالأزهر في غزة، مجلة التقويم والقياس النفسي والتربوي، تصدر عن جماعة القياس والتقويم التربوي الفلسطينية، العدد (٤)، ص ص ٢٤٤ - ٢٧٦.

(2)John W. Porter (1966) The Manual of Michigan International Students Problems Inventory, Michigan, International Programs at Michigan State University, p.1.

(3)El Izabeth Quintero (1994)Valuing Diversity in the Multi - Cultural Classroom , ERIC Digest, ERIC Clearing House for ESL Literacy Education, Washington DC, ED 378846.

الطالب نفسه أو المؤسسة التعليمية التي يدرس بها، ولذلك تعد المشكلات التي تواجه الطالب في النواحي التعليمية من أولويات المشكلات التي توليها المؤسسات التعليمية اهتماماً خاصاً، بل إن عملية التطرق إلى المشكلات الأخرى غير التعليمية غالباً ما يرتبط بالتعرف على آثارها في تحصيل هؤلاء الطلبة وسيرهم في الدراسة، وتعتبر المشكلات التعليمية بشكل عام من أهم المشكلات التي تعوق عملية التكيف الأكاديمي لدى الطالب الجامعي (بما فيهم الوافدين). ويمكن للطالب أن يعمل على تجنب تلك المشكلات عن طريق الحصول على التوجيه المناسب حول أساليب الدراسة الصحيحة الملائمة لنوعية دراسته"⁽¹⁾

ويمكن تناول تلك المشكلات التعليمية من خلال ارتباطها بمدخلات العملية التعليمية والتي تشمل: أعضاء هيئة التدريس، والمناهج الدراسية، والتقويم والامتحانات، والتجهيزات الدراسية (كالمكتبات والمعامل.... الخ)، والنواحي الإدارية.

١- المشكلات التعليمية ذات الصلة بأعضاء هيئة التدريس:

يعد المعلم - بالجامعة أو في أي مؤسسة تعليمية أخرى - حجر الزاوية في العملية التعليمية، لما له من أدوار تجاه طلابه، "ويفرض وجود طلبة أجنبية في أي مؤسسة تعليمية ضغوطاً وتحديات أكثر تؤثر في قيام أعضاء هيئة التدريس بأدوارهم من جراء التعامل مع الخلفيات العقلية والثقافية لهؤلاء الطلبة، إضافة إلى أنه يمثل تحدياً هاماً أمام المؤسسة التعليمية ذاتها."⁽²⁾

ومن أهم تلك المشكلات ما قد يوجد من صعوبات لدى الطلبة الوافدين في الاتصال بأعضاء هيئة التدريس سواء داخل حجرات الدراسة أو خارجها، وكذا ضعف اعتناء أعضاء

(1) سعيد التل وآخرون، مرجع سابق، ص ٤٦٢.

(2) See:

- Rey A. Gomez (1991) Teaching with Multicultural Perspective, ERIC Digest, ERIC Clearing House for Elementary and Early Childhood Education, Urbane IL, ED 339548.
- Carmen Coballes Vega (1992) Consideration in Teaching Culturally Diverse Children, ERIC Digest, ERIC Clearing House on Teacher Education, Washington DC, ED 341648.
- William Sanchez et al (1995) Working with Diverse Learners and School Staff in a Multicultural Society, ERIC Digest, ERIC Clearing House on Counseling and Student Services - Greensboro NC., American Psychological Association, Washington DC, ED390018.
- S. E. Volet and J.P.P.kee, Loc Cit.
- Margarita Colderon (1997) Staff Development in Multilingual Schools, ERIC Digest, ERIC Clearing House on Urban Education, New York, ED 410368.

هيئة التدريس بالطلبة الوافدين^(١)، واستخدام أعضاء هيئة التدريس أساليب لغوية يصعب على الطلبة فهمها، ويزداد الأمر صعوبة عندما توجد لهجات متعددة للغة الدراسية أو لهجة عامية لتلك اللغة، قد لا يجيدها الطالب.^(٢)

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المشكلات قد ترجع في أساسها إلى التباين الثقافي والأكاديمي واللغوي بين الطلبة الوافدين وأعضاء هيئة التدريس، الأمر الذي يؤدي إلى ضعف وصعوبة التفاعل بينهما، في التفاعل بين أعضاء هيئة التدريس والطلاب Faculty – Student Interaction موجبة على التحصيل الأكاديمي والنمو العقلي لهؤلاء الطلاب.^(٣)

٢- المشكلات التعليمية ذات الصلة بالمنهج بمعناه الشامل وبالمحتوى الدراسي والتقييم والامتحانات، يعد المحتوى الدراسي وما يتعلق به من تقويم وامتحانات وصولاً للتعرف على التحصيل الدراسي لدى الطلبة من المدخلات الأساسية في العملية التعليمية، ومن ثم تؤثر المشكلات التي تتعلق بهذا المجال على تعلم الطلبة الوافدين. ومن أهم أسباب تلك المشكلات التباين بين النظام التعليمي الذي كان الطالب يدرس فيه ببلده قبل الذهاب للدراسة في ظل نظام تعليمي جديد.^(٤)

هذا وتقوم العديد من المؤسسات التعليمية بتوفير العديد من البرامج والأنشطة للتعرف على التحصيل الدراسي للطلبة المتباينين ثقافياً وعرقياً ولغوياً، وتهدف تلك البرامج والأنشطة إلى: التغلب على عملية التمركز حول ثقافة معينة Ethnocentrism في المناهج التقليدية،

(١) حسن عبد المالك محمود، محمد محمود حسنى، مرجع سابق ص ص ٢٢ - ٢٥.

(٢) انظر:

- المرجع السابق، ص ٢١.

- Al Aleme Jesse Sonari, Loc Cit.
- Lucy Cheser Jacobs and Charles B. Friedman (1988) Student Achievement Under Foreign Teaching Associates Compared with Native Teaching Associates, Journal of Higher Education, Vol.59, NO.5, pp 551 – 563.

(٣) J. Fredericks Volkwein et al, Loc Cit.

- Elizabeth Jones and Cynthia Gallois, Loc Cit.

(٤) انظر:

- حسن عبد المالك محمود، محمد محمود حسنى (١٩٨٥) مرجع سابق، ص ص ٥٠ - ٥١.

- S.E. Volet And J.P.P.Kee, Op Cit, PP 36,40.
- Peter D.Renshaw And S.E. Volet, (1995) South – East Asian Students at Australian Universities : A Reappraisal of their Tutorial Participation and Approaches to Study, Australian Educational Researcher, Vol. 22, No.2, pp 85 – 106.

وكذا جعل المناهج الدراسية مناسبة مع الخبرات والتقاليد الثقافية Cultural Tradition،
والمساهمات التاريخية Historical Contributions للشعوب المختلفة^(١).

ولقد أشارت العديد من الدراسات إلى ضرورة مراعاة المناهج الدراسية، وبالتالي
أساليب التقويم والامتحانات – للخلفيات الثقافية والأكاديمية واللغوية للطلبة حتى لا يؤدي ذلك
إلى مشكلات تؤثر على تعلمهم وسيرهم في الدراسة^(٢).

ومن المشكلات التعليمية المرتبطة بالمناهج الدراسية والتقويم والامتحانات ما يتعلق
بالأسلوب واللغة، ومنها ما يتعلق بازدياد المناهج الدراسية وجدول الامتحانات وطول
المقررات، ومنها ما يتعلق بصعوبة الحصول على الكتب الدراسية^(٣). وقد ترجع هذه
المشكلات إلى التباين الثقافي والأكاديمي واللغوي وصعوبة التكيف مع النظام التعليمي الجديد
كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

٣- المشكلات التعليمية المرتبطة بالتجهيزات الجامعية University Facilities، ويقصد
بالتجهيزات الدراسية Study Facilities الوسائل والأدوات التي تستخدمها المؤسسات
التعليمية ضمن مدخلاتها للإسهام في تعليم طلابها.

ومن أهم هذه التجهيزات المكتبات والمعامل Laboratories وأجهزة الكمبيوتر. ويعد
تعليم الطلبة الوافدين كيفية الاستفادة من مثل هذه التجهيزات جزءاً أساسياً من عملية التوجيه
الأكاديمي Academic Induction Process التي تقدم للطلبة الوافدين في البلاد المتقدمة
كإنجلترا والولايات المتحدة.

وتم التركيز في الدراسة الحالية على المشكلات المتعلقة بالمكتبات الجامعية فقط دون
غيرها من التجهيزات، لأنه لا يسمح للطلبة الوافدين بجامعة الأزهر بالالتحاق بالكليات العملية
كالطب والصيدلية وطب الأسنان والهندسة إلا في حدود ضيقة جداً، ومن المسلم به أن هذه

(١) Micheal Webb (1990) Multicultural Education in Elementary and Secondary Schools, ERIC Digest, ERIC Clearinghouse on Urban Education, New York, ED 327613.

(٢) See:

- Ismat Abdul – Haqq (1994) Culturally Responsive Curriculum, ERIC Digest, ERIC Clearinghouse on Teaching and Teacher Education, Washington DC., ED 370936.
- Elizabeth Quintero, Loc Cit.
- Poula Zeszotarski (1998) Multiculturalism in the Community College Curriculum, ERIC Digest, ERIC Clearinghouse for Community Colleges, Los Angeles CA., ED 424898.S

(٣) حسن عبد المالك محمود، محمد محمود حسني، مرجع سابق، ص ٥٧ – ٦٨.

الكليات تحتاج إلى معامل ومختبرات وغيره من التجهيزات، فى حين تمثل المكتبات الجامعية لقبية الكليات الأصلية والنظرية مصدراً هاماً للمعلومات.

وتشير الدراسات إلى ضرورة أن تهتم المكتبات الجامعية بالتعامل مع الطلبة المتباينين ثقافياً ولغوياً، وذلك من خلال توفير المواد التعليمية اللازمة لهم، وكذا توفير إداريين Staff ذوى كفاءات معينة للتعامل مع مثل هؤلاء الطلبة، وكذا توفير بعض الكتب والمراجع بلغة هؤلاء الطلبة الأصلية Native Language وتناسبهم ثقافياً.^(١)

وتدور المشكلات التعليمية التى تتعلق بالمكتبات الجامعية حول تنظيم تلك المكتبات واستخدام محتوياتها، ومدى توفر المراجع العلمية بصفة عامة والتى تناسب الوافدين ثقافياً ولغوياً بصفة خاصة، والإطلاع والاستفادة والتعامل مع العاملين بتلك المكتبات.

٤- المشكلات التعليمية المرتبطة بالنواحي الإدارية بالجامعة:

يقصد بالنواحي الإدارية تلك المواقف والاحتياجات التى تتطلب من الطلبة الأجانب التعامل مع الإداريين بالجامعة، مثل إجراءات الالتحاق والقبول واستخراج الأوراق والمستندات اللازمة لهؤلاء الطلبة. وتجدر الإشارة إلى أن النواحي الإدارية فى أى مؤسسة تعليمية تعد من المدخلات الرئيسية فى العملية التعليمية بتلك المؤسسات.

ويواجه الطلبة الوافدون بالعديد من المشكلات والصعوبات فيما يتعلق بالإجراءات والنواحي الإدارية، ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة من أهمها التباين اللغوي والثقافي بين الطلبة والإداريين، وكذا ضغوط العمل الكبيرة الملقاة على الجهاز الإداري فى المؤسسات التعليمية بسبب كثرة عدد الطلاب وتنوع احتياجاتهم، وكذا عدم ألفة الطلبة بالنظام الإداري والتعليمي، إضافة إلى وجود قيود - من جهة المؤسسة التعليمية أو الجهة المانحة للطلاب على اختيار الطالب لنوعية الدراسة التى يرغبون فيها.^(٢)

(١) انظر :

- حسن عبد المالك محمود، محمد محمود حسنى، مرجع سابق، ص ص ٦٩ - ٧٤.

Debbie Yumiko Carton (1993) Public Libraries and Cultural Diversity, ERIC Digest, ERIC Clearinghouse on Information Resources, Syracuse New York, ED 358871.

Melvin Azar Dame (1995) Serving Linguistically and Culturally Diverse Students; Strategies for The School Librarian, ERIC Digest, ERIC Clearinghouse on Language and Linguistics, Washington DC., ED 390283.

(٢) حسن عبد المالك محمود، محمد محمود حسنى، مرجع سابق، ص ص ٢٩ - ٤٠، ٤٩ - ٥٥.

وتدور المشكلات التعليمية المرتبطة بالنواحي الإدارية حول العديد من الأمور منها: إجراءات القبول والالتحاق، والاتصال بالجهاز الإدارى بالكلية، والمشاركة فى الأنشطة الطلابية، ومدى توفر بعض الكفايات المهنية لدى الجهاز الإدارى اللازمة للتعامل مع الطلبة المتباينين ثقافياً ولغوياً.

ثانياً: المشكلات الاجتماعية Social Problem

يعد انخراط الطالب الوافد فى المجتمع - سواء كان داخل المؤسسة التعليمية أو خارجها - من الأمور بالغة الأهمية لدى هؤلاء الطلاب، والفشل فى ذلك يسمى مشكلات سوء التكيف Maladjustment والذي يؤدي بالطالب إلى عدم الرغبة فى مشاركة الزملاء والتعاون معهم، ورفضه للاندماج معهم والميل إلى استخدام العنف ضدهم فى بعض الأحيان. وترجع مشكلات الفرد إلى مصادر عديدة نفسية واقتصادية، وثقافية، مما يعنى أن المشكلات تأتي من مصدر واحد.^(١)

هذا ولقد أشارت العديد من الدراسات^(٢) إلى أن الطلبة الوافدين يواجهون بالعديد من المشكلات الاجتماعية المتعلقة بسوء التكيف مع المجتمع المضيف، مما قد يصل به إلى الصدمة الثقافية Cultural Shock والشعور بالاغتراب Alienation والعزلة Loneliness والحنين للوطن Homesickness، وذلك بسبب التباين الثقافى والاجتماعى واللغوى بين مجتمع الطالب والمجتمع المضيف، هذا وتدور المشكلات الاجتماعية التى تواجه الطلبة الوافدين حول العديد من الأمور منها: صعوبة التكيف مع المجتمع، سواء داخل المؤسسة التعليمية أو خارجها، وتكوين الصداقات والعلاقات الودية مع أقرانهم وأساتذتهم وأفراد المجتمع الجديد الذى يعيشون فيه، والحصول على السلع المعتادة فى أوطانهم، وكذا التفكير الدائم فى الأهل والوطن. وتؤدى تلك المشكلات إلى شعور الطالب بالضياع والحرمان وعدم الرغبة فى إكمال دراسته وفقده لما هو مألوف لديه من رموز اجتماعية Social Symbols فى بيئته الأصلية.

ومن أهم المشكلات الاجتماعية شعور الفرد بالاغتراب بسبب وجوده فى مجتمع جديد وغريب عن مجتمعه الأسمى، وما يصاحب ذلك الاغتراب من شعور بالضياع والعزلة وعدم الفاعلية والوحدة وعدم الانتماء والتضاؤل، إضافة إلى ما قد ينتج من سلوك عدوانى تجاه

(١) فادية عمر الجولانى (١٩٩٩) تشخيص وعلاج المشكلات الاجتماعية والنفسية، الإسكندرية، مكتبة

الإشعاع، ص ص ٢٧ - ٣٠

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر الفصل الثانى "الدراسات السابقة".

المجتمع والآخرين بل والذات في بعض الأحيان، وسلوك انسحابي فصامي من المجتمع عامة ومن الأفراد الآخرين. وقد يؤدي شعور الفرد بالاغتراب إلى الإحساس بعدم الانتماء للواقع الذي يعيشه بما يشمله من مؤسسات وأشخاص وأعمال.^(١)

ثالثاً: المشكلات الاقتصادية Financial Problem

تحتل النواحي الاقتصادية في حياة البشر جميعاً أهمية خاصة، وزادت تلك الأهمية في ظل التطور الحادث بالمجتمعات المختلفة. ويعد مجال التعليم أحد أهم المجالات المرتبطة بالنواحي الاقتصادية سواء من جهة النفقات أو العوائد، حتى أنه ليوحد فرع من العلوم التربوية يسمى اقتصاديات التعليم. هذا على المستوى المؤسسي بينما تكون النواحي الاقتصادية ذات أهمية قصوى على المستوى الفردي، أو بالأحرى على مستوى الطالب، وتزداد تلك الأهمية على مستوى الطالب الوافد، حيث تتطلب دراسته في بلد أجنبي مزيداً من النفقات المالية، "حيث توجد علاقة بين عدد الطلبة الأجانب الذين يدرسون في بلد ما وبين الوضع الاقتصادي لبلدهم الأصلي"^(٢)

وتعد المشكلات الاقتصادية الأكثر إلحاحاً وتحدياً لكافة الأفراد والفئات داخل المجتمع بما فيهم طلاب الجامعات.^(٣) وترتبط المشكلات الاقتصادية للطالب بالحالة الاقتصادية لأسرته أو للجهة المانحة له، والذين يتأثران بالوضع الاقتصادي للبلد الموفد.^(٤)

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن الدراسة الحالية تتناول المشكلات الاقتصادية ذات الصلة المباشرة بالطلبة الوافدين بمصر، وتدور تلك المشكلات حول مدى وفاء النقود المخصصة للطلبة الوافدين باحتياجاتهم، والمشكلات الاقتصادية المتعلقة بالمسكن والمصروفات الدراسية ونفقات المعيشة والعلاج.

(١) رشاد عبد العزيز موسى، مديحة منصور سليم الدسوقي، مرجع سابق، ص ٢٧٠.

(٢) See:

- George A. Barnett and Reggie Yingli WU (1995) The International Student Exchange Network: 1970 and 1989, Higher Education, Vol. 30, No. 4, pp 353 – 368.

- فليب التباخ (١٩٨٨) مرجع سابق.

(٣) يوسف سيد محمود (١٩٩٣ – ١٩٩٣) مرجع سابق.

(٤) نبيل عبد الحليم، مرجع سابق.

خلاصة الفصل

يتضح من المناقشات السابقة للأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للطلبة الأجانب في مؤسسات التعليم المختلفة في الدول المضيفة، وأن هؤلاء الطلبة يواجهون بالعديد من المشكلات والصعوبات التي تؤثر عليهم وعلى سيرهم في دراستهم. فهؤلاء الطلبة الذين توجب عليهم ظروفهم أن يعيشوا في مجتمعات وثقافات تتباين - كلياً أو جزئياً - مع مجتمعاتهم وثقافتهم الأصلية يتأثرون بذلك، مما قد يصيبهم بالصدمات الثقافية التي تجعلهم في مجال المقارنات بين ما هو جديد وما هو قديم، الأمر الذي قد يدفعهم إلى الشعور بالوحدة والحنين إلى الوطن، هذا إضافة إلى الصعوبات اللغوية التي تواجههم وما يترتب على ذلك من مشكلات قد تؤثر سلباً على تكيفهم مع المجتمع الجديد وثقافته، ثم هذه الصعوبات المالية التي تزيد من الضغوط والأعباء التي يواجهها هؤلاء الطلبة، كما يتضح أيضاً دور جامعة الأزهر في تعليم الطلبة الوافدين ومدى أهميته، واهتمام الجامعة بهؤلاء الطلبة إيماناً منها بضرورة تذليل ما قد يواجههم من صعوبات وعقبات حتى يؤدي دورهم تجاه الدين الإسلامي ولغته العربية بعد تخرجهم على أكمل وجه.